أكثر الروايات مبيعاً فى العالم

أجاثا كريستى



مكتبة النافذة

الفصل الأول

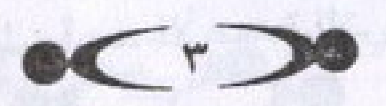
أوه .. يا إلهي! ها هي إنجلترا أراها أخيرا بعد كل هذه السنين.

بتلك الكلمات راح لوك فتينر المحامي يتحدث في نفسه وهو يقف في طابور فحص جوازات السفر.

إن لندن مختلفة عن كافة عواصم العالم ففيها يلتقي المرء بمن يحب ومن يعرف وينفق بها أمواله ويقضي فيها أسعد أوقاته سواء في أندية أو ملاهي ليلية.. باختصار هي مدينة المرح والانطلاق.. وكم من زائر تردد عليها وتمنى وهو يغادرها أن يعود إليها. إنه نفس الشعور الذي يراود زوار مصر الفرعونية والقبطية والإسلامية، مصر هبة النيل التي جاءت على لسان مؤرخي العالم أجمع أما اليوم فقد جاء لوك لكي يبقى وينتهي به المطاف إنها رحلة ذهاب بلا عودة.

أجل.. إنها رحلة البقاء والسكون والراحة فلم يعد لديه الرغبة في العيش تحت شموس حارقة وليالي خانقة تمدد فيها بمفرده على فراشه حتى أرقته الوحدة والغربة ووحشتها ولم يعد فيها لقراءة صحيفة التايمز ليقتل بها أوقاته وينهي بها عزلته ووحدته.. نعم لم يعد في حاجة إلى ممارسة تلك الطقوس الإجبارية بعد اليوم.

إنه الآن بدأ رحلة البقاء والعيش في إنجلترا بعد أن بلغ سن التقاعد وقد كرمته بلاده براتب شهري يعيش منه إلى جانب دخل إضافي صغير القيمة.. إنه الآن صار شاغرا



عاطلا عن العمل بعد أن تكبدت صحته وتدهورت في غربة طويلة خارج انجلترا.

وهو الآن في إنجلترا في إحدى ليالي يوني بسمائها التي تفترشها السحب وشوارعها التي يكسوها الضباب.. نعم لندن عاصمة الضباب والسحاب ورغم هذا فهو يعشقها كفتاة جميلة رقيقة منا يعشق أهلها صحيح أنهم كثيرون وأصحاب وجوه كئيبة كوجوه الأفارقة وإن اختلفت الألوان والملامح.. وها هي البيوت المكتظة بها تراصت وتساوت وتزاحمت وتنافست في كل ركن من أركانها حتى أصبحت تفوق عدد البشر إنها في كل مكان.

كل هذه الصور شاهدها لوك بعينه وهو على متن أحد القطارات التي تشق بسرعتها خطوط السكك الحديدية.

وما أروع الحقول المترامية على جانبي شريط القطار إنها منظر يسر العين والنفس ولذا استحق ريف إنجلترا أن يتصدر قائمة أجمل المناقطق الريفية في المعمورة دون منافسة.

وسرعان ما أخرج لوك من حقيبته صحف التايمز الديلي كلاريون ومجلة باتشي وبدأ يتصفح الديلي كلاريون التي تحدثت أغلب صفحاتها عن سباق الدربي.

وامتعض لوك وطوى الجريدة وهو يقول في حسرة:

- أوه ! ليتني حضرت بالأمس لكي أشاهد هذا السباق إنني منذ أن كنت في التاسعة عشرة لم أشاهد الدربي.

إن لوك قد راهن قبل مجيئه على أحد الخيول المعروفة وها هو سيبحث عن نتيجة هذا الرهان داخل الجريدة حتى وقعت عيناه على أحد الأعمدة التي كتبها ناقد فني

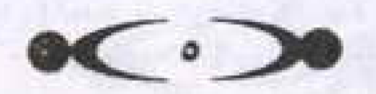
مشهور قائلا بالحرف: «ولكن جاءت الجياد الأخرى كعادتها مخيبة للآمال مثل جوجوب ومارك مايل وسانتوني وجيري بوي، فهي الخيول لا أظن أنها ستفوز أبدا أو حتى سترقى إلى أي من المراكز الأولى»

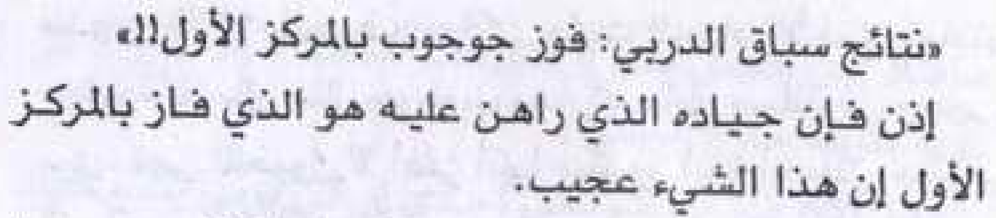
وتضايق لوك حيث كان قد راهن على الجواد «جوجوب» الذي تصدر قائمة الخيول الفاشلة التي أوردها الناقد الفني سليط اللسان، ونظر محدثا نفسه.. ولن يفيد الندم فالساعة الآن تؤكد أن السباق قد بدأ ومن الصعب أن أسترد قيمة التذكرة.. ليتني راهنت على كلاري جولد فهو المرشح بالفوز للمركز الثاني

وسرعان ما ألقى بالصحيفة إلى جواره وانتزع جريدة التايمز المعروفة بأخبارها الجادة والمحترمة..

أثناء ذلك كان هناك كولونيل متجهم الوجه يجلس أمامه وهو يعشق ثرثرة الكلام ولا يمل منه وفجأة انقض الكولونيل على لوك ليطلق للسانه العنان في الحديث دون أي مقدمة وراح يتحدث عن الشيوعية والشيوعيين وانقضت نصف ساعة تحدث فيها الرجل دون توقف بينما كان لوك يسمع له في ضجر وسأم حتى حطت عجلات القطار على جانبي رصيف إحدى القرى فاستأذن الكولونيل الثرثار مغادراً وبدت على لوك علامات الارتياح والرضا من انصراف هذا الرجل المتفلسف.

واستمر القطار في انطلاقه إلى أن توقف في المحطة التالية وإذا به يطل من النافذة المجاورة له ليرى إعلانا على أحد الأكشاك الخاصة ببيع الصحف يقول:





«نتائج سباق الدربي: فوز جوجوب بالمركز الأول!!»

إذن فإن جياده الذي راهن عليه هو الذي فاز بالمركز الأول إن هذا الشيء عجيب.

وفي غير إرادة منه هب لوك واقفا وانطلق مسرعا صوب رصيف المحطة لكي يشتري صحيفة الديلي كلاريون ليرى نتيجة السباق واشترى الصحيفة وراح يقرأ في طرب اسم «جوجوب» حصانه الذي راهن عليه وتساءل في نفسه ماذا سيقول الآن الناقد الرياضي الأرعن الذي أكد فشل جوجوب وزملائه.

لقد شاهد عاموده، إنه يقول إن الفوز جاء على غير المتوقع وهو مفاجأة أذهلت النقاد الذين أشاروا من قبل على فشله المرير.

إنها بالفعل مفاجأة عجيبة ليس للنقاد فحسب بل مفاجأة للوك نفسه حيث أصبح الآن مالكا لورقة من فئة المائة جنيه مكافأة الفوز.. مائة جنيه منذ أول ساعة تطأ فيها قدمه لندن إذن له الحق أن يبدو الآن هذه المائة جنيه كيفما شاء وأراد. وعاد لوك إلى قطاره ولكن كان القطار قد اختفى من الرصيف فهو لا ينتظر أحداً ولا يلتمس الأعذار لزواره ثم إن لوك قد استغرق وقتا طويلا في قراءة أخبار فوز حصانه ولم يفطن للقطار الرابط على الرصيف المتأهب للانطلاق كعادته.

إن المفاجأة التي عاشها لوك أفقدته الوعي بالطبع فكأن أذنه قد أصابها الصمم وعيناه أغشاها الضباب فلم يعد يسمع أو يرى غير ما رأى داخل صحيفة الديلي فقط حتى ضاع منه القطار.

واتجه على الفور إلى أحد الحمالين الواقفين على رصيف المحطة وسأله:

- بربك أين ذهب القطار؟

- فنظر إليه العجوز وأجابه في غير اكتراث:

- القطار؟ عن أي قطار تتحدث أيها الرجل؟ إن قطار الثالثة وخمس دقائق هو آخر قطار وقف في محطة فيني.

- فقال لوك في دهشة واشمئزاز:

- منذ لحظات فقط كان القطار هنا، قطار الميناء السريع.

- فهز الحمال رأسه مستنكرا وراح يقول:

- إن قطار الميناء السريع لا يقف إلا في لندن فقط.

- إنه وقف هنا منذ لحظات قليلة.. وأنا نفسي كنت راكبا بداخله ونزلت لشراء الصحف.

وأمام هذه الرواية المنطقية اضطر الحمال إلى أن يغير من أسلوبه مع لوك لكنه عاد يقول في حزم كمسئول أمن:

- كان عليك ألا تنزل من القطار إنه لا يتوقف هنا.

- أوه.. يا إلهي!! أقسم لك أنه توقف.

- نعم إنني تفهمت الموقف.. لقد توقف هنا ثوان لحين إخلاء الطريق أمامه لمواصلة مسيره حيث كانت الإشارة ترغمه على عدم الانطلاق أقصد أنه توقف طارئ.

- فقال لوك متضايقا:

أنا لا أفهم هذه العبارات الخاصة بأعمالكم ولكن أنا في حاجة لحل لهذه المعضلة فالقطار توقف ونزلت منه لشراء الصحف حتى ذهب فماذا أفعل الآن؟

ويبدو أن الحمال هو الآخر قد ضاق بتلك المناقشة

الفارغة حتى عاد يقول:

- قلت لك يا سيدي أنت أخطأت حين تركت القطار.

ولاحظ لوك أن الرجل لا يحمل له في نفسه أي حل لهذا الأمر الطارئ حيث أجابه قائلا بعد نفاد صبره:

- حسنا.. إنني أعرف أنني أخطأت بالفعل ولكن ماذا أفعل الآن؟

- تقصد كيف ستذهب إلى لندن؟

- نعم أقصد ذلك فهل تستطيع أن تدلني على كيفية ذلك؟

- فأجابه الحمال بعد أن تنهد:

- بمقدورك أن تستقل قطار الساعة الرابعة وعشرين دقيقة.

- إذا كان ما تقول صحيحا فلم تعد هناك مشكلة.

وانتظر لوك مجيء قطار الرابعة والعشرين في قلق واضطراب حتى أقبل عليه الحمال قائلا وهو يشير بأصبعه ناحية القطار القادم:

- هذا هو القطار الذي تنتظره إذا كنت ترغب في الذهاب إلى لندن، وأقبل القطار وكانت عربات الدرجة الثالثة شديدة الزحام أما الأولى فإن مقصوراتها الثلاث كانت مشغولة بعدد غير قليل من الركاب وراح لوك يشق طريقه لعله يعثر على مقصورة خالية لكي يجلس فيها منفردا بعيدا عن الزحام واستقر به المطاف إلى مقصورة كانت تجلس بداخلها سيدة عجوز تتشابه ملامح وجهها بوجه عمته مليدرد التي كانت تعطف عليه وتحنو على طفولته وبالتالي شعر بالارتياح ودخل إلى المقصورة وسرعان ما درات عجلات القطار وعاد لوك يفتح صفحات



الجريدة حتى يعاود قراءة أخبار السباق.

كان لوك يعرف أن هذه العجوز ستتحدث إليه كعادة من هم في مثل عمرها الطويل بغية الترفيه وقتل الوقت الطويل داخل عربة القطار وكان لوك بارعا فيما توقعه فقد راحت العجوز تسأله أن يأتي لها بمظلتها التي تدحرجت أسفل مقعدها ثم أعقبت ذلك حديثا حول القطار الذي يستقلانه وبادرت قائلة:

- على الرغم من أن هذا القطار يصل لندن بعد ساعة وعشر دقائق إلا أنه أفضل حالا من القطار الذي يصل اليها صباحا في ساعة إلا ربع وأردفت تقول: إن الناس هنا يروق لهم قطار الصباح وكان في نيتي أن أستقله لولا أن ووني اختفت فاضطررت للبحث عنهت ليفوتني القطار..

كان لوك يسمع لها في أدب مجاملا لها حتى لا يبدو شخصا أحمق، وعادت العجوز تقول وهي تضحك: إن ووني هي قطتي وهي فارسية الأصل وجميلة وأنا لا أستطيع الاستغناء عنها خاصة في السفر لكي أطمئن عليها.

فقال لوك وهو يختلس النظر إلى صحيفته:

- طبعا.. طبعا.

ويبدو أنه ضايقها عدم اكتراثه بها فعادت تقول:

- من حسن حظي أن هذا القطار ليس مزدحما وإن من عادتي أن أستقل عربات الدرجة الثالثة ونادراً أن أستقل عربات الدرجة الأولى، واستطردت تقول: ألا توافقني أن ركوب الدرجة الأولى تبذير وإسراف لا داعي له؟

فأجاب مجاملا في كلمات موجزة: طبعا.. طبعا إسراف

لا داعي له.

واستطردت تقول: خاصة في هذا الوقت الذي تحاصرنا فيه فواتير الضرائب من كل جانب مع ارتفاع رهيب في رواتب الطهاة والخدم، وهز لوك رأسه قائلا: نعم.. نعم.

وتمنى في قرارة نفسه لو توقفت عن الثرثرة ودعته وشأنه يتصفح أخبار السباق داخل جريدة الديلي، لكنها لم تتوقف وإنما استمرت في الاسترسال في الكلام حتى قالت:

- إنني مسافرة إلى لندن في مهمة عاجلة وضرورية.. وأريد أن أفكر فيما سأذكره هناك وأن أعد الحديث الذي سأدلي به.. وأنت تعرف أنه إذا تكدست المقصورة بالناس فمن الصعب عليك أن تفكر في هدوء.

فقال لوك في أدب: نعم.. هذا صحيح.

وأردفت العجوز قائلة: إن الضباط يستقلون الدرجة الأولى مجانا ويبدو أنك ضابط كما ألاحظ أليس هذا صحيحا؟

فأجاب في إيجاز لعلها تكف عن الكلام:

- كلا لست ضابطا بل أنا جندي صغير وبسيط.

- إنني أعتذر فقد لاحظت أن بشرتك أحرقتها شمس أفريقيا وأنك عائد في إجازة سنوية.

- فأجابها لوك إنني شرطي ولكنني كما قلت قادم من بلاد أفريقيا.

- أوه!! أنت شرطي.. إنها مصادفة عجيبة!

وبادر لوك لعرض صحيفة حياته قاطعا عليها أي سؤال

لعلها تلوذ بالصمت واستطرد قائلا:

- شرطي في مايانج.

فقالت العجوز مرة أخرى: صدفة غريبة أن تستقل هذا القطار وهذه المقصورة بالذات دون غيرها.

ولأن لوك نافد الصبر فلم يشأ أن يسألها عن سر دهشتها وسبب تعجبها لتلك المصادفة إلا أنها عادت تقول له:

- أتعرف أن مهمتي العاجلة تتعلق بالشرطة وأنني في طريقي الآن إلى بوليس سكوتلاند يارد.

فأجابها لوك في غير اهتمام وقد بدت عليه ملامح الملل وهو يقول:

- أهذا معقول؟

- نعم إنني قررت الذهاب إلى سكوتلاند يارد ولكن أخشى ما أخشاه أن يصل بنا القطار بعد أن تغلق إدارة سكوتلاند يارد أبوابها حيث إن رجالها لا يعملون إلا في فترة الصباح فقط.

فأجاب لوك: أعتقد أن أبواب إدارة الشرطة مفتوحة طوال الأربع والعشرون ساعة.

فقالت: طبعا.. فهذا لابد منه لتلقي أية بلاغات.

- نعم فليس للجرائم زمن محدد لوقوعها.

- ولكن الأفضل هو اللجوء لكبار الرؤساء في الإدارة للإبلاغ عن أي جريمة.

فقال لوك: نعم هذا صحيح.

وأردفت المرأة تقول: كان في نيتي أن أذهب إلى ريد

الشرطي لكي أخبره ولكني لاحظت أن ريد لا هم له سوى بلاغات المرور ومخالفات السيارات والمشاجرات البسيطة أما جرائم القتل فلا شأن له بها.

ورفع لوك حاجبيه في دهشة وهو يقول:

- جرائم قتل؟!

فهزت العجوز رأسها وقالت:

- نعم.. جرائم قتل.. أنت أصبت بالدهشة مثلي تماما فقد كذبت نفسي في بداية الأمر حتى تأكدت بنفسي.. لقد ظننت أنني أتخيل أشياء لا وجود لها.

فقال لوك في رقة وأدب:

- هل أنت متأكدة مما تقولين؟

- فهزت رأسها في حماس وهي تقول:

- نعم.. نعم.. فقد كنت أتشكك عند وقوع الجريمة الأولى ولكن تأكدت حين وقعت الثانية والثالثة والرابعة.. أنا متأكدة من ذلك.

- فاستغرب لوك وسألها:

- تقصدين أن أربع جرائم قتل وقعت في بلدتك مرة واحدة؟

تعنين أنها مجزرة جماعية .. أو جرائم بالجملة.

فأجابت العجوز في صوت هادئ النبرات:

- نعم.. هي جرائم قتل بالجملة لهذا رأيت من الأفضل اللجوء إلى بوليس سكوتلاند يارد دون اللجوء لرجال الشرطة المحليين، ولهذا أردت أن أسألك هل هذا التصرف

حسن أم لا؟

فأجابها لوك: نعم هو تصرف حكيم وعاقل منك.

وقال في نفسه: لو صدقنا كل أوهام هؤلاء المتقدمات في السن لصارت هناك جريمة كل دقيقة فهؤلاء أسرى أوهامهم وخيالاتهم وتنبه لوك إلى صوت العجوز وهي تقول:

- إني أذكر أنني قرأت في أحد الأيام عن جريمة قتل ارتكبها إيبد كرومبي.. إنه سفاح قتل عددا غير قليل من الناس قبل أن تحيط به الشبهات.. نعم أذكر أن هذا الشخص إذا نظر إلى أحد الناس بنظرة معينة فإذا بهذا الشخص أو الضحية يتعرض لمرض غامض بعد هذه النظرة التي اخترقت جسده وعيناه، وحين رأت لوك ينظر إليها بعينيه بشيء من الاستغراب قالت له:

- نعم.. أنا نفسي لم أصدق مسألة «العين» حين قرأت هذا الكلام، لكنه أمر حقيقي بالفعل دون أدنى شك في ذلك.

- فسألها لوك عن سبب اعتقادها؟

- فأجابت «العين» طبعا.. إنها بمقدورها أن تقتل، وحملق فيها لوك مشدوها.. فلاحظ أنها ترتعد حتى فاضت الدماء من وجنتيها، وعادت العجوز تقول بعد أن تملكها الرعب:

- إن هذا قد حدث من قبل مع إيمي جيبس وماتت ثم كارتر ومات أيضا ثم بعد ذلك مع تومي بيرس.. أما الآن.. أقصد بالأمس فقد أصاب الدور الدكتور هامبلباي،



والغريب أنه رجل رقيق القلب ما كان ينبغي أن يموت أنه يعشق جميع الأطفال ويعطف عليهم كما أنه يحرص على علاج الفقراء مجانا.. لكن كارتر هذا كان عربيدا لا يفيق من الخمر كذلك أيضا تومي بيرس الذي اشتهر بالوقاحة والسفالة وقد كان كثير الاعتداء على الأطفال لهذا لم أشعر بالضيق من موتهما وأما الدكتور هامبلباي فشأنه يختلف عن هؤلاء الأوغاد لذلك رأيت أن أسعى إلى محاولة إنقاذه بأقصى سرعة.. فهو يجب ألا يموت.. نعم والحقيقة أنني إذا ذهبت إليه وحدثته عما في نفسي فيما يتعلق بشأنه من المؤكد أنه سيتهمني بالخبل والهوس وسيزعم أنني أتخيل أشياء لا وجود لها في الواقع.

وهذا ما أتوقع أن يفعله الشرطي جون ريد فو عديم الخبرة بالنواحي الإجرامية وربما شرطة سكوتلاند يارد تتفهم موقفي لأنهم بالفعل هم أصحاب خبرة وتجارب عديدة في تلك المجالات الإجرامية.

وتطلعت من النافذة وصاحت العجوز:

- أوه.. إن القطار على وشك الوصول إلى العاصمة لندن وراحت تستعد لجمع محتوياتها ومظلتها وراح لوك يساعدها ونظرت إليه تشكره وهي تقول:

- أشكرك على حسن استماعك لحديثي.. إلى اللقاء فأنا سأتجه فور وصول القطار إلى شرطة سكوتلاند يارد.

أنا سعيد يا سيدتي لحديثك الممتع وتأكدي من أن شرطة سكوتلاند يارد سوف يبذلون قصارى جهدهم لحماية قضيتك.

- فقالت وهي تفتش في حقيبة يدها:

مع الأسف ليس لدي بطاقة تعارف أقدمها لك على أي حال فإن اسمي هو بينكرتون.

فابتسم لوك في وجهها قائلا:

- أما أنا فاسمي لوك فيتزوليام.

وحطت عجلات القطار على الرصيف وخرجا معا إلى الشارع وعاد لوك يقول لها مجاملا:

- هل استدعي لك تاكسيا؟

فأجابته في لهجة من اللوم والعتاب:

- كلا.. إن هذا تبذير وإسراف.. إنني سأستقل المترو إلى محطة ميدان ترفا لجار ثم أمشي على قدماي إلى مقر سكوتلاند يارد في هوايتهول.

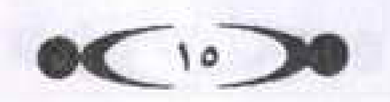
- فقال لوك في خجل:

- أتمنى لك حظا سعيدا.

- فقالت العجوز: إنني أتصور أنك لم تصدق كلمة واحدة مما قصصته عليك وأنت بالطبع على حق مادام الأمر يتعلق بجرائم قتل متعددة ولكن صدقني القتل وسيلة سهلة التنفيذ خاصة إذا كان القاتل بعيداً عن مرمى الشبهات.

وأومأ لوك رأسه بالإيجاب وودعها وانصرف بعيدا عنها وهو يقول:

- لا أظن أن هذه العجوز مخبولة لكن الخيال تملكها بعض الشيء.



الفصل الثاني

كان لوك قد أعد نفسه للنزول على صديقه العزيز جيمي لوريمير الذي استقبله بحفاوة شديدة

وفي صباح اليوم الجديد راح الصديقان يتناولان أقداح القهوة بعد أن فرغا من تناول وجبة الإفطار.

وأثناء شراب القهوة راح جيمي يسأل صديقه بسؤال ما، إلا أن لوك كان شارد الذهن ولم يشأ أن يرد عليه حيث كان منهمكا في قراءة أحد الأخبار في إحدى الصحف التي بين يديه.

وعاد جيمي يعاود المحاولة مرة أخرى بصوت عالي النبرة:

– ماذا دهاك يا لوك؟ المسألة السياسية؟

ورسم لوك على شفتيه ابتسامة شاحبة وهو يقول:

– إنها سيدة عجوز رافقتني في مقصورة القطار بالأمس وقد لقيت حتفها على يد سيارة طائشة وهي تعبر الطريق وماتت على الفور وقد هرب سائق السيارة.

– وكيف عرفت أنها نفس السيدة التي كانت ترافقك في القطار؟

– لأنها تدعى بينكرتون.

– مسكينة ولكن الشرطة سوف تضع يدها على السائق الطائش.

***



بعد مرور سبعة أيام على هذا اللقاء وفي صباح باكر راح لوك يطلع على صحيفة التايمز وفجأة أطلق شهقة عالية والتفت إليه جيمي يسأله:

– لماذا شهقت هكذا يا عزيزي لوك؟ هل قرأت في التايمز شيئاً أدهشك؟

كان لوك قد سلط بصره على خبر صغير فيها.

– وعاد جيمي يسأله مرة أخرى.

– ماذا أدهشك بربك؟

– ورفع لوك بصره وهو مشدوه لا يجيب وجيمي يتبادل معه نظرات الحيرة والدهشة حتى قال لوك:

– هل تذكر يا جيمي تلك السيدة العجوز التي حدثتك عنها الأسبوع الماضي؟

– تعني السيدة التي دهمتها السيارة وماتت على الفور؟

– نعم فهذه السيدة أخبرتني أثناء الرحلة عن عزمها للذهاب إلى إدارة شرطة سكوتلاند يارد للإبلاغ عن قاتل أحمق ارتكب عدة جرائم قتل في قريتها وأنه بعيد عن الشبهات.

– إذن فهي عجوز مخبولة يتملكها الخيال مادامت تتحدث هكذا عن جرائم قتل بالجملة.

– لا أظن أنها مخبولة ولكن ربما هي سيدة تتوهم أشياء لا صحة لها ولكن أرجوك أن تهتم بما سأقصه عليك.. فإن ما ذكرته هذه السيدة ربما كان حقيقيا لا صلة له بالأوهام والخيال. فضحك جيمي وأجاب في سخرية:



- أوه!! يبدو أنك تأثرت بجنونها فصرت مثلها ها.. ها.. ها.

- أرجوك يا جيمي اسمعني جيدا.. لقد أوردت أسماء بعض الضحايا أمامي وأنها تخشى من وقوع ضحية جديدة وذكرت اسم الضحية الجديدة بالفعل التي تخاف عليها من الوقوع في القتل.

- وماذا في ذلك؟ إنها أوهام يا عزيزي.

- كلا.. ليس وهما فإن الرجل الذي توقعت العجوز أن يموت قتيلا مات بالفعل.

- أوه!! أهذا صحيح؟ واسم هذا الرجل؟

وتناول جيمي الصحيفة من صديقه لوك وقرأ جيمي الخبر بصوت عال وقد جاء نصه على هذا النحو:

«في يوم ١٣ يونيه مات الدكتور جون إداورد هامبلباي فجأة في مسكنه في ضاحية ساند جيت في أشي وهو متزوج من السيدة جيسي روز هامبلباي وسوف تشيع جنازته يوم الجمعة»

- وانفعل لوك قائلا في حماس:

أرأيت يا جيمي.. أرأيت إنه نفس الاسم ونفس المكان وهو طبيب كما ذكرت لي فماذا تتوقع إذن؟

- أجاب جيمي: أظن أن الأمر لا يعدو أكثر من مجرد صدفة.

- فقال لوك: أما أنا فلا أظن ما تظنه، بل هي عملية مدبرة وراح لوك يقطع الغرفة ذهابا وإيابا وهو يقول



منفعلا:

- لنفرض.. لنفرض أن ما ذكرته هذه العجوز ليس من قبيل الأوهام وأنه كان بالفعل حقيقة.

فقاطعه جيمي معترضا وهو يتهكم:

- ما هذا الذي تقول؟ أوه!! إنك صرت مخبولا يا لوك.

فأجاب لوك: وما هو رأيك في قضية أبيد كرومبي؟

إن هذا الشخص كان يضع سم الزرنيخ لضحاياه في الشراب والطعام حتى تنهار قواهم ويموتون وكان بعيدا عن دائرة الشبهات وقد راح ضحيته أكثر من خمسة عشر ضحية لا ذنب لها في هذا ومن الممكن أن تتكرر مثل هذه الجرائم على يد شخص آخر.

- فأجاب جيمي وقد ضاق ذرعا: يجب أن تنسى أنك كنت شرطيا؟

فضحك لوك قائلا: إن من كان شرطيا في أحد الأيام سيظل شرطيا طوال عمره وحتى وفاته.. والآن استمع إلي.

إن هذه العجوز قد أخبرتني أن هناك قاتلاً سفاحاً سفك دماء ضحاياه ثم قالت إنها تتوقع وقوع جريمة قتل أخرى سيذهب ضحيتها الدكتور هامبلباي وبالفعل مات ثم قبل ذلك لقت مصرعها على يد سائق طائش وهذا يؤكد لي أن هذه العجوز قد قتلها هذا السفاح عن عمد وسبق الإصرار لكي لا تذهب إلى الشرطة للإبلاغ عن هذا القاتل.

فتساءل جيمي: أو ربما يا عزيزي قد دهمتها السيارة



بعد أن زارت اسكوتلاند يارد.

- أغلب الظن أنها لقيت مصرعها قبل الاتصال بالشرطة.

- كلا أنا أعتقد أنها قتلت قبل الاتصال بالشرطة.

- ماذا تقصد؟ أنت تفسر الظروف طبقا لآرائك.

- أريد أن أقول إن هذه الملابسات في حاجة إلى مزيد من البحث والتحري لكشف حقيقتها.

- إذن أنت ستلجأ إلى اسكوتلاند يارد للقيام بهذه الإجراءات؟

- كلا.. أنا سوف أذهب بنفسي للبحث والتحري في مسرح الأحداث.

نظر إليه في دهشة وعجب وقال:

- هل ستفعل هذا فعلا يا لوك؟

- نعم بكل تأكيد ربما كانت العجوز على حق في روايتها.

- ولكن هل وضعت خطة معينة؟ إنك يجب أن تتمتع بصفة معينة في هذه القرية الصغيرة وإلا لاحقك القاتل.

- هذا صحيح.. آه لو كنت أستطيع الرسم لكنت قد ذهبت إلى هناك بحجة رسم المناظر الطبيعية.

وأردف لوك: هل أزعم أنني مفكر ومؤلف جاء لهذا المكان ليتفرغ للكتابة بعيدا عن الضوضاء؟ أم أزعم أنني جئت من أجل شراء بيت ريفي للإقامة فيه بعد أن تقاعدت عن العمل؟

وصاح جيمي وقال:

- انتظر يا لوك.. لقد فكرت في حل وسيكون الأمر سهلا ويسيرا.

وتطلع لوك نحوه بحماس.

وأردف جيمي قائلا: أن لي ابنة عم في هذه القرية وسوف أبعث لها بخطاب لكي تتفهم أهمية وجودك وستقدمك للناس على أنك ابن عمها.

كان لوك مشدودا إلى حديث جيمي الذي استطرد يقول:

- أن ابنة عمي اسمها بريدجيت كوانواي وقد اشتغلت سكرتيرة في مكتب اللورد هويتفليد.

- صاحب المجلات الأسبوعية التي تصدر في القرى الريفية؟

- نعم هو نفسه.. وهذا الرجل قد أوقعته بريدجيت في شباك حبها وصارت له مخطوبة وهي الآن لها الكلمة العليا إذ يقال إنه مغرم بها.

- وهل يوجد في القرية فندق أستطيع الإقامة فيه؟

- لا.. لا إنك ستقيم في قصر اللورد هويتفيلد نفسه حيث إن ابنة عمي تقيم في نفس القصر وسوف تدعي أنك ابن عمها.

- ولكن ما هي الذريعة التي سأتذرع بها للإقامة معها في القرية؟

- ستزعم أنك جئت من أجل تأليف كتاب يتعلق بالموروثات الريفية القديمة والسحر ومقارنة مظاهر



السحر في القرية بما كان يحدث في لندن خاصة أن قرية أشي كانت قاعدة هامة لاجتماع السحرة الذين كانوا يترددون عليها من أرجاء إنجلترا وهتف لوك طربا وهو يقول:

- يالك من عبقري.. لقد وفرت علي مشقة يا جيمي.

- كلا إنها خدمة بسيطة لا تذكر لصديق عزيز أصابه الجنون بفعل سيدة عجوز حمقاء ظن أنها عاقلة ومتزنة.

فضحك لوك وقال: لماذا لا تتوقع أن هذا الخبل هو حقيقية لاشك فيها إني لا أزال أذكر آخر عبارة صاحت بها مسز بنكرتون وهي تودعني أمام محطة القطار لقد قالت بالحرف: «إن القتل أمر سهل جدا إذا كان القاتل بعيدا عن دائرة الشبهات»

وسوف تتأكد إن كان ما زعمته سهلا أم صعبا؟

***



الفصل الثالث

وصل لوك فيتز ويليام إلى قرية أشي المعروفة بشمسها الحارقة وكان يقود سيارته العريقة التي اشتراها من أجل هذه الرحلة الغريبة.

وأثناء قيادته للسيارة وهو في طريقه للقرية روادته الظنون تارة يتهم نفسه بالجنون وتارة أخرى يصف نفسه بالعقل ثم سرعان ما يلوم نفسه كيف رضخ لحديث عجوز مخبولة وكيف طاوعه عقله للمجيء إلى هنا؟ وهل يوجد بالفعل قاتل في تلك القرية؟

هكذا أطلت الظنون والهواجس في رأسه وازدحمت، ولم يكن في القرية سوى أحد الشوارع الرئيسية ومشى فيه بغير هدى وفي أثناء سيره لمح فندقا صغيرا باسم «فندق الأجراس» ثم مر ببناء عتيق من الطراز العريق وقد لاحظه على أن بابه مقر المكتبة والمتحف ثم بعده تأسس مبنى حديث وأدرك لوك من اللوحة أن هذا المبنى مقر لنادي الشبان فتوقف عنده وراح يسأل عن مكان قصر اللورد هويتفيلد حتى تطوع نفر من أهالي القرية وأرشده عن مكانه.

وانطلق لوك إلى ناحية القصر وعرفه بسهولة من خلال بوابته الكبيرة البيضاء ثم أوقف سيارته أمامه وفجأة ظهرت فتاة جميلة من داخل الحديقة ذات شعر أسود وعيون يشع منها الذكاء وتتصف بقامة فارعة وقوام متناسق.



واتجهت نحوه وهي تبتسم قائلة:

- بكل تأكيد أنت مستر لوك فيتز ويليام؟ أنا بريدجيت كوانوي وصافحها لوك بحرارة شديدة وراح يقول لها في عذوبة ورقة:

- أنا آسف لإزعاجك ولكن جيمي أكد لي أن وجودي لن يضرك.

فأجابت الفتاة في مرح:

- كلا إنني سعيدة لوجودك أنا واللورد هوتفيلد.

وارتسمت على وجهها ابتسامة ساحرة وقالت:

إنني وجيمي متوافقان دائما، لا يرفض أحدنا طلبا للآخر وإذا كنت في سبيلك لتأليف كتاب عن السحر فهذا المكان هو أنسب مكان لك حيث هنا مقر معروف لاجتماع أهل السحر والدجل.

فضحك لوك قائلا: هذا ما كنت أصبو إليه.

وصحبته الفتاة إلى البيت وراح يتأملها خلسة وهما يسيران معا جنب إلى جنب ولاحظ أنها جميلة بأكثر مما كان يتوقع ثم إنها ربما تبلغ الثامنة والعشرين من العمر وتبدو عليها ملامح الذكاء ومضت به بريدجيت كونواي إلى إحدى القاعات الكبرى المخصصة للكتب القديمة وفي أحد أركانها وضعت مائدة تزينت بأقداح الشاي وحولها يجلس رجل وسيدة يتبادلان الحديث.

وقالت الفتاة: جوردون.. هذا هو لوك فيتز ويليام أحد أبناء عمومتي.



ونهض اللورد مصافحا ضيفه في طرب قائلا:

- أنا سعيد بمقابلتك.. سعيد جدا.. إنك قادم من بلاد الشرق كما علمت أيضا أنك ستؤلف كتابا أرجو لك التوفيق.

والتفتت الفتاة إلى السيدة العجوز التي جلست مع اللورد وقالت:

- هذه هي عمتي مسز أنسترودز.

وراح لوك يصافح تلك السيدة العجوز ذات النظرات الزائغة وأدرك لوك فيما بعد أن مسز أنسرودز تعشق الفلاحة في البساتين وأنه لاحديث لها إلا عن زراعة البساتين وهو الحديث الذي يروق لها، وبعد أن تعارفا عادت العمة العجوز لمواصلة حديثها مع اللورد بقولها:

هل تعرف ياجوردون أن المكان المناسب لزراعة الزهرة الصخرية هو المكان المجاور مكانا لحوض الورد الاحمر ؟

واستوى اللورد على مقعده الفخم وهو يقول.

- بمقدورك أن تتفقي في هذا الشأن مع بريدجيت.

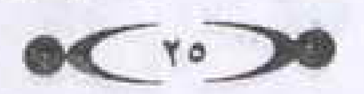
فاستطردت الفتاة تقول في أدب

- إن الزهرة الصخرية لا تناسب ذوقك ياسيدتي فإنها صغيرة الحجم وصبت بريدجيت كوبا من الشاي قدمته إلى لوك في حين قال لورد هوتيفيلد.

نعم أنت على حق فأنا أحب الزهور الصغيرة.

والتفت اللورد إلى لوك قائلا بهدف لتغير الحديث.

إذن أنت تعمل فى مجال الكتابة وتأليف الكتب؟



وشعر لوك بالارتباك إذ كان يخشى أن يستمر هويتفيلد فى أسئلة فيقع فى مأزق فينكشف أمره.

وقال اللورد : طالما راودتنى أنا نفس الرغبة في أن أؤلف كتابا إلا أننى لم أفعل حيث لا وقت عندى لمثل هذا العمل.

فقال لوك مجاملا : أنا لا أشك فى هذا فإنك تتولى أعمالا ضخمة وكثيرة.

– نعم أنت لا تتخيل ياسيدى مدى العناء والشقاء الذى أواجهه فى هذا الأمر فأنا أعرف ما تنشره صحفى ومجلاتى خاصة وأنها تترسخ في ذهن القارئ بما تتضمنه من أفكار ومبادئ وثقافات، والواقع أنها مسألة خطيرة وجسيمة خاصة إذا كانت تسوق أفكار تخاطب الرأي العام هنا.. إلا إنني أطمئنك يا عزيزي إنني كفيل بكل هذا.

– أنت رجل عظيم.. صحيح أخبرني يا لوك أتعرف أحداً هنا؟

واغتنم لوك الفرصة وراح يزعم أنه كان صديق الدكتور هامبلباي، فغمغم اللورد ببعض الكلمات وهو يستوي على مقعده ثم صاح قائلا:

– أوه.. من أسف إنه مات منذ أسبوع.

فأجاب لوك متظاهرا بالحزن والضيق:

ماذا قلت؟ مات؟ كيف ولماذا؟ إنني جئت إلى هنا لاشتياقي له.

فقال اللورد: الحقيقة أنه كان رجل سيىء الطباع



وأهوج وأحمق، فقاطعته بريدجيت لتقول وهي تبتسم:

– هذا يعني أن اللورد كان لا يميل إلى الدكتور هامبلباي.

– فقال اللورد: لقد دبت بيننا الخلافات في الرأي بشأن مرفق المياه إنني يا سيدي رجل أحب أهل تلك القرية وأعمل على خدمتهم فهي خدمات أعشق ممارستها دائما.. ويشرفني الانتساب إليها، وأردف اللورد يقول: لقد كان أبي صاحب حانوت لبيع الأحذية أما أنا فكنت أعمل في حانوت لمسح الأحذية حتى صرت كما ترى اللورد هويتفيليد فالكفاح الطويل ينير الطريق مهما كانت الظلمات وراح اللورد يقص مشوار كفاحه منذ طفولته وصباه وشبابه حتى بلغ هذه المكانة المرموقة في المجتمع، واستطرد قائلا: حين قمت بشراء هذا القصر أسندته إلى أحد المهندسين لكي يضع عليه لمسات عصرية حديثة بما لا يتعارض مع عراقته وأصالته بحال من الأحوال لأنني كنت منذ صغري تواقا إلى العيش في القلاع التاريخية العريقة، لكن هذا المهندس أراد تغيير معالم القصر واستبدالها بأبنية حديثة فرفضت بإصرار وطردته حتى جاءني مهندس أدرك ما أبتغيه فقام بترميم القصر دون تغيير في معالمه فأنا رجل لدي القدرة على تحقيق أحلامي بأقل التكاليف، فقالت بريدجيت تذكره: لكنك فشلت في تحقيق أحلامك بشأن مرفق المياه.

– إن هذا يعود لحماقة وعناد الدكتور هامبلباي الذي كان لا يميل لصوت العقل والمنطق.

– فقال لوك: من المؤكد أن الدكتور هامبلباي كان شديد

الاعتزاز برأيه لذلك كان يحتفظ بخصوم وأعداء كثيرين.

فقال اللورد: لا أعتقد ذلك.. ولكن أتوافقينني الرأي يا بريدجيت؟

- فأجابت: إن ما أعرفه أن الدكتور هامبلباي كان محبوبا من أهالي القرية جميعا.

- فقال اللورد: نعم.. هذا صحيح ولكن كان هناك رجلان يمقتانه فهما من نفس طرازه وأسلوبه في تناول الأمور لأنهما أحمقان أيضا.

- فسأل لوك: وهل هذان الرجلان يسكنان هنا؟

فهز اللورد رأسه بالإيجاب قائلا:

- رغم صغر مساحة القرية وقلة عدد سكانها إلا أنها تنقسم إلى جماعات كلها تختلف مع بعضها البعض.

- فقال لوك متسائلا في خجل:

- ما نوعية هؤلاء الناس؟

- فأجاب اللورد: تقريبا من الطراز القديم أمثال رجال الدين وأسرهم. والإناث هنا ستة أضعاف الذكور ومن بين هؤلاء الناس أذكر هنا المحامي مستر أبوت.. والدكتور توماس الطبيب

الطبيب الشاب شريك الدكتور هامبلباي ومستر ويك راعي الكنيسة ومستر ألزيورتي تاجر التحف وهو رجل لطيف ومجامل وهناك أيضا الميجور هورتون وكلابه البولدوج

وقال لوك: أعتقد أن بعض أصدقائي حدثوني عن سيدة



عجوز ثرثارة تعيش هنا وتدعى مسز بنكرتون فصاحت بريدجيت تقول: إن نصف نساء القرية يعشقون الثرثرة والنميمة.

فقال اللورد: أوه!! إن الحظ السيئ يحالفك للمره الثانية أيضا فقد ماتت إثر حادث سيارة في لندن وماتت على الفور.

فقال لوك: أوه .. إن هذه القرية منكوبة بالوفيات

فقال اللورد : بالعكس إنها قرية نموذجية من ناحية الحالة الصحية ولكن حوادث الموت شيء مختلف فيها

فقالت بريدجيت: أنسيت ياجوردون أن هناك وفيات كثيرة حدثت فى العام الماضى؟

فقال لوك: وهل توفى الدكتور هامبلباى نتيجة حادث أيضا؟

- كلا لقد مات نتيجه التسمم من مسمار صدئ

- فقالت بريدجيت: مسكينة زوجته.. لاشك أن وفاته كانت فاجعة وصدمة لها.

***



الفصل الرابع

في صباح اليوم التالي توجه لوك إلى قاعة الطعام لتناول طعام الإفطار بعد أن أعد خطته وأتمها.

كان اللورد يحتسي فنجان القهوة والعمة المولعة بفلاحة البساتين لم تكن موجودة بينما كانت بريدجيت تطل من النافذة إلى خارج البيت وانهمك لوك في التهام الطعام بمفرده وهو يحدث نفسه قائلا:

- لابد وأن أبدأ اليوم في العمل.. أن المشقة التي تواجهني هي كيفية التحدث إلى الناس وكسب ثقتهم فالناس من عادتها تتصف بالتحفظ عند الكلام ثم صاح بصوت عال قائلا:

إن الناس هنا من المؤكد يختلفون عنك يا لورد فأنت تتسم بالصراحة والوضوح وتقول كل ما تعرفه خاصة إذا سئلت عن الخرافات أما هم فسوف يمسكون أمامي عن الكلام وللأسف أنا في حاجة إلى أحاديثهم لكي أنهي كتابي في أقرب وقت.

- فقال اللورد: نعم.. السبب في هذا يعود للجهل وعدم الوعي.. إنني تبرعت لمكتبة القرية بمجموعة هائلة من الكتب النادرة.

وأحس لوك أن الحوار سيتحول إلى سرد قائمة هبات اللورد التي اعتاد على التحدث عنها حتى أسرع لوك يقول:

- هذا عظيم منك.. ولكن أرجو الا ينكب الناس على

قراءة محتويات المكتبة فلا يتذكرون شيئا عن السحر والخرافات التي أحتاج الآن إليها.

وأردف يقول: أعتقد من الأفضل لي أن أبدأ أبحاثي بدراسة كل شيء يتعلق بالموت.. أقصد طقوس الموت وأساليب الدفن وغيرها، فأهل القرية بالطبع يروق لهم الحديث عن الموت.

- فقالت بريدجيت: نعم إن أهالي القرية يستمتعون بطقوس الجنازات ويحبون الحديث عنها.

- إذن يطيب لي البدء من هنا.. ولكن هل بمقدوري أن أحصل من الإبراشية على قائمة تضم أسماء الموتى الذين رحلوا مؤخرا على أن ألتقي بأقاربهم للتحدث معهم قليلا.

- فقالت بريدجيت: إن القس مستر ويك سيكون على أتم الاستعداد لمدك بتلك القائمة فهو رجل لطيف المعشر ومجامل ورقيق.

- فقال لوك: إذن يجب أن أقابله.. ولكن هل لك أن تتذكري أسماء من ماتوا في القرية خلال الفترة القليلة الماضية؟

فكرت بريدجيت مليا وقالت:

- أه.. هناك كارتر مثلا فهو صاحب البار الواقع على محاذاة النهر وتدخل اللورد قائلا: كان أحمق، أسرف في الشراب، وهو اشتراكي لعين من الطراز الذي يعشق إثارة

الخلافات والمشكلات، وانبرت بريدجيت تقول: هناك أيضا مسز روز صاحبة حانوت تخصص في غسل الملابس، ثم تومي بيرس الصغير وكان فتى لا يحبه أهل القرية ثم الفتاة إيمي جيس، وتغيرت نبرتها وهي تذكر اسمها وشردت قليلا ثم أردفت تقول:

- كانت إحدى وصيفات القصر هنا ثم انتقلت إلى العمل في خدمة مس وينفليت وقد قامت الشرطة بإجراء تحقيقات كثيرة بشأن موتها.

- فقال لوك: وما هو سبب موتها؟

فقال اللورد: قيل إنها تجرعت سما عن طريق الخطأ في جنح الليل.

- فقالت بريدجيت: يقال إنها تناولت شرابا ظنت أنه خاص بالسعال حتى تبين أنه مسحوق خاص بطلاء القبعات.

- فقال لوك: إذن هي أرادت الانتحار؟

- نعم ظننا ذلك خاصة وأنها كانت على خلاف كبير مع شاب تحبه وفطن لوك أن بريدجيت كانت متحفظة أثناء الحديث عن تلك الفتاة وأنها لا تتكلم إلا بعد أن تمنح لنفسها قسطاً وافراً من التفكير.

وتذكر لوك أن مسز بنكرتون ذكرت أمامه اسم الصبي تومي بيرس وكارتر وحاول لوك أن يبدو متحفظا في تحرياته حتى لا ينكشف أمره ثم نهض قائلا:



- أوه.. إن الحديث عن الأموات يثير شجوني فلنتحدث إذن عن الزوجات والأزواج أو عادات وطقوس الزواج هنا فإن تقاليده تهمني أيضا.

فابتسمت بريدجيت ابتسامة رقيقة ثم قالت:

- يمكنني أن أتصور أن هذا الموضوع يهمك بالفعل.

- نعم وهناك موضوع آخر له أهمية كبيرة عندي.. أقصد البيوت القديمة التي يسكنها الأشباح.

فأجاب اللورد: أنا لا أعرف أن في القرية بيوتاً مسكونة بالأشباح.

فقال لوك: أرى الآن أن أبادر بالذهاب إلى راعي الكنيسة.

فقالت بريدجيت: هل لديك مانع من مرافقتك إلى هناك.

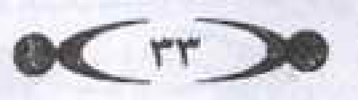
فقال: كلا بالطبع.

فقالت: إذن انتظر قليلا حتى أستبدل ملابسي.

وتضايق لوك حيث كان يرغب في الانفراد بالقس حتى يستطيع الحديث كما يشاء ووجودها سيمنعه من المضي في تساؤلاته وهواجسه خاصة وأنها فتاة تتمتع بالذكاء والدهاء ويصعب خداعها، وبعد لحظات غادرا البيت ومعا وفي الطريق قالت له:

- أعتقد أنك كنت في حاجة لوجودي معك.

وابتسم لوك وهو يلتفت إلى القصر الذي غادره منذ



قليل وقال لها:

- أما كان بمقدورك أنت والمهندسين بإقناعه لإضافة لمسة عصرية على هذا القصر.

- فقالت: إن بيت الرجل الإنجليزي هو قلعته وهذا التعبير ينطبق تماما على اللورد جورودن فهو مغرم بتلك القلعة.

- لقد أفهمني جيمي قريبك أن هذا القصر كان خاصا بأسرتكم فهل يروق لك ما حدث في هذا القصر على يد اللورد؟

- فقالت: للأسف أنا غادرت هذا القصر وأنا في الثانية من العمر لذلك لا أذكر منه شيئا وبالتالي لا يهمني أن يكون على حاله أو يتغير عما كان عليه.

***

بعد خمس دقائق كان بين يدي راعي الكنيسة وبادرت بريدجيت قائلة للرجل:

- إن مستر لوك قريبي ومقيم معنا في قصر اللورد جورودن وقد جاء للاستفسار عن بعض الأشياء لأنه ينوي تأليف أحد الكتب.

وصافح القس لوك بحرارة وراح لوك يشرح له موضوع الكتاب الوهمي وانبرى القس يصف له أحوال هذه القرية واعتقادها السائد عن السحر والخرافات وكيف كانت القرية مقرا قديما لاجتماعات السحرة والدجالين وفرغ

القس من حديثه حتى شرع لوك يسأله عن أسماء الذين قضوا نحبهم أخيرا في القرية وعن طقوس الجنازات وتقاليدها وأردف لوك يقول:

- لقد أخبرتني مسز بريدجيت أن بمقدورك أن تمدني ببيانات شاملة في هذا الشأن.

فقال القس: طبعا .. طبعا .. لقد مات عدد كبير العام الماضي بفعل الشتاء القارص والقضاء والقدر والحوادث الغامضة.

- فقال لوك: في أغلب الأحيان ينسب الناس وقوع الحوادث إلى الأشباح أو يعزون ذلك إلى شخص بعينه له طابع الشؤم أو النحس أليس هذا صحيحا؟

- نعم هذا صحيح.. لكن القرية لم يطئها أي من الغرباء في تلك الشهور كما أنه لم يبلغني شيء من هذا القبيل، وأمسك القس عن الكلام قليلا ثم انبرى يقول:

- كان الدكتور هامبلباي هو آخر من مات في قريتنا.

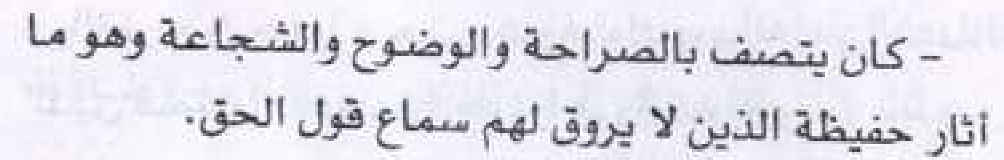
فأسرعت بريدجيت تقول: إن مستر لوك يعرفه جيدا فكانت له صلة معرفة سابقة به.

- فقال القس: قبل ذلك بأسبوع ماتت العجوز المسكينة بنكرتون وهي سيدة مهذبة ولطيفة وكان الدكتور أيضا محبوبا من أهل القرية.

فقال لوك: من المؤكد أن له أعداء هنا في هذه القرية.

فتنهد القس قائلا في أسى:





- كان يتصف بالصراحة والوضوح والشجاعة وهو ما أثار حفيظة الذين لا يروق لهم سماع قول الحق.

- فقال لوك: كيف يسعد الناس بموت أصدقائهم الشجعان وهم لن يرثون عنهم شيئا؟

- فقال القس: أنا أفهم ما تقصد فإن وفاة الدكتور هامبلباي عادت بالنفع على شريكه الدكتور توماس.

فتساءل لوك: وكيف استفاد توماس من وفاة هامبلباي؟

فقال القس: إن توماس كان غير ناجح في عمله لأنه يتمسك بطرق العلاج العصري بينما كان هامبلباي يتمسك بالطرق القديمة والتقليدية وقد حدثت خلافات بينهما بسبب اختلاف طرق العلاج بينهما والناس كان يروق لها العلاج على يد الدكتور هامبلباي وهو ما أثار حنق صديقه وشريكه توماس ثم إن هناك شائعة أخرى وإن كنت لا أميل إلى ترديد الشائعات كشأن أهل القرية هنا ولكن..

فقطاعته مسز بريدجيت قائلة: إن لوك يحتاج إلى سماع هذه الشائعات فغمغم القس قليلا ثم عاد يقول:

- حسنا سأقص عليك هذه الشائعة.. إن روز هامبلباي فتاة جميلة جداً وكان مألوفا أن يعجب بها توماس ويتعلق بها.. ولكن قيل أن الدكتور هامبلباي كان يرى أن الفتاة صغيرة السن وعديمة الخبرة.

- إذن فهمت أنه كان معارضا لزواجها من توماس.

- نعم لأن هامبلباي كان شديد العناد والإصرار وإن كنت قد علمت أن توماس قد تأثر لفراقه كثيرا.

- إن اللورد هوتفيليد أكد لي أنه مات مسموما؟

- هذا صحيح.. أصيب بخدش من مسمار صدئ تحولت إلى غرغرينا أودت بحياته وأردف القس قائلا:

- أوه.. لقد ابتعدنا عن جوهر الموضوع الذي نتحدث فيه.. كنت أذكر أن مسز لافينيا بنكرتون ضمن من قضوا نحبهم هذا العام.. وهي سيدة لطيفة وكانت سخية في عطاياها للكنيسةأما الفتاة آيمي جيبس ماتت منتحرة وبمقدورك أن تقابل خالتها وتسمع منها فقد تمدك ببعض المعلومات.

- نعم سأفعل بكل تأكيد.

فتابع القس حديثه قائلا:

- ثم هناك الصبي تومي بيرس.. إنه لم يكن محبوبا من أهل قريتنا حيث كان سخيفا سليط اللسان سيئ الأخلاق والسمعة ومات ميتة بشعة إذ سقط من نافذة البريد على الأرض وقد كان يعمل أيضا لدى اللورد هوتفيليد وقد طرده بسبب بذاءته ووقاحته ويبدو أنه حاول أن يؤدي بعض الألعاب البهلوانية على حافة النافذة فاختل توازنه ليقع صريعا على الأرض.

- هل شاهده أحد وهو يسقط؟

- كلا لأن النافذة كانت تطل على فناء داخلي.

- ومن إذن اكتشف جثته؟

- مس بنكرتون.. التي كانت تقطف زهور حديقة المبنى وقد تعرضت لصدمة قاسية حيث إنها شاهدته وهو





يحتضر في اللحظات الأخيرة.

فقاطعته بريدجيت بقولها:

- لكنك تعرف يا مستر ويك أنه كان فتى غبيا شرسا يعتدي على صغار الأطفال دون سبب لذلك كما كان يهوى تعذيب الحيوانات الأليفة.

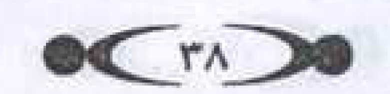
- فقال القس: نعم كان كذلك.. ولكن هذه القسوة التي اتصف بها تعود لصغر عقله رغم كبر سنه.

فقالت الفتاة بنبرة حزينة:

- أنت على حق في هذا التفسير يا مستر ويك فأنا أتفهم مغزى كلامك، إن الرجل الذي لايزال طفلا هو أخطر شيء يبعث الخوف في النفس.

ورمقها لوك بنظرة ذات معنى وهو يتساءل في نفسه من تقصد بريدجيت بهذا الغمز واللمز؟ إنها بالفعل لا تقصد هوتفيليد رغم تصرفاته الصبيانية ولكن ترى من يكون هذا الرجل؟

★ ★ ★



وأردف مستر ويك يقول مخاطبا لوك: دعني أتذكر.. آه.. هناك المسكينة مسز روز وبيل العجوز والطفل الجميل ابن مسز الكنز ثم هاري كارتر وأضاف أن موجة برد عاتية هبت في مارس مات بسببها بن ستانبوري وكان عجوزاً في الثانية والتسعين من العمر.

وقالت بريدجيت: إن آمي جيبس ماتت في أبريل.

ونظر لوك إلى بريدجيت ولاحظ أنها مختنقة حتى تساءل في نفسه قائلا:

- إنني أعتقد أن هذه الفتاة ماتت ومعها سر خطير ليتني أعرفه.

واستأذن لوك في الانصراف وفي الطريق سأل لوك بريدجيت:

- أرجوكي حدثيني قليلا عن الفتاة آمي جيبس، من تكون وما هي قصتها؟ ومضت فترة طويلة قبل أن تجيب بريدجيت على السؤال وقد بدا عليها التوتر والقلق وراحت تغمغم بصوت عال وتقول:

- كانت وصيفة رائعة ولكنها تعلقت بأحد الشباب وكثيرا ما كانت تعود إلى القصر في غير موعدها واللورد رجل محافظ يكره لهو الشباب وعبثهم مما اضطره إلى طردها.

- هل كانت فتاة جميلة؟

- روعة في الجمال.

- كانت غبية أيضا أن تشرب مسحوق الطلاء بدلا من



دواء السعال؟

- كلا.. كانت ذكية لكنها أخطأت دون أن تدري.

وشعر لوك أن شيئا ما يدور في خلد بريدجيت وفجأة توقفت بريدجيت في الطريق لتبادل التحية مع أحد المارة وقدمته إلى لوك على أنه مستر أيوت الذي استخدم تومي بيرس بعد ان طرده من عمله في القصر.

وقال المحامي متسائلا:

- أنت مشغول إذن بتأليف كتاب؟ أم قصة؟

وتطوعت بريدجيت بالرد وأجابت:

- كتاب عن التقاليد الشعبية الموروثة والخرافات والسحر.

- فقال أيوت المحامي:

- انت أصبت في اختيار المكان المناسب لذلك.

- اتمنى أن تساعدني يا مستر أيوت في مدي بالمعلومات المتعلقة بهذه العادات والتقاليد والطقوس الغريبة وما حولها.

وأردف لوك قائلا:

- هل يعتقد أهل القرية هنا بوجود أشباح؟

- فقال المحامي: لا أعرف ذلك.

- فقال لوك: هل شاهد الناس هنا شبح تومي بيرس؟

- فأجاب المحامي كعادة المحامين المراوغين: لا أعرف.. لا أعرف، وحاول لوك تغيير مجرى الحديث قائلا:

- أظن أن الأطباء هم أفضل الناس في جمع المعلومات

من خلال تردد المرضى عليهم الذين يروون لهم دون حذر أو حيطة.

- نعم هذا صحيح وعليك أن تذهب إلى الدكتور توماس وهو رجل لطيف وودود، يختلف تماما عن الدكتور هامبلباي.

- فقال لوك: سمعت أن هامبلباي.. أنه رجعي في التفكير والعمل أيضا.

- فقال المحامي: ليس هذا فحسب بل كان عنيدا وغبيا.

وقاطعته بريدجيت قائلة:

- أذكر أن هناك خلافات دبت بينكما بشأن مرفق المياه؟

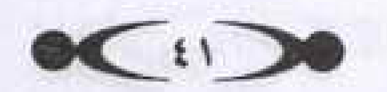
- فأجاب المحامي أيوت منفعلا:

- إن هامبلباي رجل سخيف كان حجر عثرة في طريق التقدم والحداثة.. فقد رفض المشروع بعناد شديد وكان أحمق في طريقة رفضه وذكر عبارات مشينة في حديثه معي حول المشروع.

- والتفت أيوت إلى لوك قائلا:

- أستأذنك يا مستر لوك وهذا هو رقم هاتفي إذا وجدت أنني أستطيع أن أقدم لك أي مساعدة في مهمتك، وشكره لوك وانصرف المحامي وعلامات الانفعال لازالت واضحة على وجهه والتفتت بريدجيت إلى لوك قائلة:

- إذا كنت تبتغي مزيدا من المعلومات عن الفتاة آمي جيبس فلتذهب إلى سيدة بمقدورها أن تزودك بكثير من المعلومات عنها.



- من تكون هذه السيدة يا بريدجيت؟

- أنها مس وينفلت.. لقد التحقت آمي جيبس بالخدمة لديها بعد أن طردها اللورد من القصر وكانت تعمل لديها حتى ماتت.

- إذن فلنذهب إليها ربما وجدنا فعلا بعض المعلومات واتجه معا إلى منزل مس وينفلت التي صافحتهما بحرارة وتقدمت معهما إلى قاعة الاستقبال.

وتأملها لوك برهة خاطفة.. ولاحظ أنها تمثل نموذج العانس الإنجليزية العتيقة وراحت بريدجيت تقدم لوك إليها قائلة:

- مستر لوك فريبي.. يكتب مؤلفا عن العادات والتقاليد الريفية القديمة في الجنازات والمعتقدات الأسطورية.

- فقالت العجوز: إنه بحق موضوع ممتع.

وانبرت بريدجيت تقول: وقد فكرت بالمجيء به إلى هنا لعلك تمديه ببعض المعلومات عن الفتاة آمي جيبس والملابسات التي صاحبت وفاتها، ولاحظ لوك أن مس وينفلت تملكتها نظرة شاردة مصحوبة بتفكير عميق ثم سرعان ما التفتت إليه تقول:

إذن أنت تبحث عن ملابسات وفاة الفتاة آمي جيبس.. الواقع أنها وقعت في غلطة فادحة سببت لي فاجعة لا أنساها أبدا..

فسألها لوك: ألا يمكن أن تكون قد انتحرت؟

- كلا.. كلا.. مستحيل.. لقد كان فتاة تعشق الحياة



وتكره الموت، إنها من ط، از عجيب لا نظير له.

- من أي طراز كانت؟

وأجابت مس وينفلت قائلة:

- كان عيبها الوحيد إهمالها في شئون أعمالها لأنها كانت مولعة بالخروج مع فتاها والعودة في ساعة متأخرة وكان هذا على حساب عملها، وكانت أيضا مغرورة لأنها جميلة.. تحب سماع المدح والإطراء وزادها غروراً أن مستر أيلسوبيرثي تاجر التحف قد رسم لها صورتين جميلتين مما دفعها ذلك للشجار المستمر مع خطيبها جيم هارفي.. وهو شاب لطيف المعشر يعمل في الميكانيكا وكان يعشقها.

- فقال لوك مجاملا:

- إنها بحق معلومات طريفة.

وأردفت مس وينفلت تقول: أنا لا يمكن أن أنسى هذه الليلة السوداء كانت آمي تشكو من سعال مزمن وقد ذهبت إلى الطبيب في هذا اليوم فسألها لوك بعد أن قاطعها قائلا:

- الدكتور هامبلباي أم توماس؟

- الدكتور توماس الذي أرشدها على دواء مهدئ لنوبة السعال ولكن بعد منتصف الليل راحت آمي تنهض من فراشها وهي تصرخ حيث كانت تتوجع وتتألم وحين ذهبت إلى حجرتها بصحبة الطاهية ناديت عليها دون أن أتلقى منها جوابا وفشلنا في دخول الحجرة ونادينا على الشرطي ريد الذي تسلق ماسورة المياه ودخل حجرتها وحملها إلى



المستشفى.. مسكينة آمي لقد فشلوا في إنقاذها وماتت بعد بضع ساعات.

فقال لوك: أحقا أنها تناولت مسحوق طلاء القبعات بدلا من دواء السعال؟

- نعم وكان يحتوي على حمض الأوكساليك وكان موضوعا في زجاجة تشبه زجاجة الدواء وقد عثرنا على زجاجة الدواء موضوعة على رف الحوض أما زجاجة الطلاء فقد كانت موضوعة على منضدة بجوار فراشها وقد انتهى راي الشرطة إلى أنها أخطأت في تناول الدواء.

وتوقفت مس وينفلت فجأة عن الاسترسال في الحديث وراحت تنظر إلى لوك بنظرة ثاقبة ذات معنى، وتصور لوك أنها أخفت في حديثها شيئا هاما وأنها بهذه النظرة أرادت أن تؤكد لها أن في حوزتها سرّاً لا تستطيع البوح به الآن.

- وقال لوك: ولماذا الا تعتقدين أنها انتحرت؟

- كلا.. إن هذه الفتاة لا يمكن لها أن تنتحر ثم إنها لم تكن تعرف حقيقة الزجاجة المجاورة لها.

- إذن ما هو رأيك في سبب موتها؟

- ارى أنها حادثة تتعلق بالقضاء والقدر.

ثم أغلقت فمها ولاذت بالسكوت، وسمع لوك صوت مواء قطة فنهضت مس وينفلت مسرعة لتفتح الباب وعادت بعد ثوان تحمل قطة فارسية جميلة ضمتها إلى صدرها وهي تقول.

- هذه رونكي المسكينة.. كانت مملوكة لمس بنكرتون وقد



أخذتها بعد أن لقت مصرعها تحت عجلات سيارة.. إنها قطة جميلة أليس كذلك؟ وأثنى لوك على جمال القطة الفارسية وربت على ظهرها حتى قالت له مس وينفلت:

- أحذر أن تمس أذنيها.. إنها تتألم منها كثيرا.

ونهضت بريدجيت تقول:

- أظن أننا يجب أن نستأذن في الانصراف، وصافحت مس وينفلت مستر لوك وهي تقول:

- أتمنى أن نلتقي مرة أخرى.

- فقال لوك: وأنا أيضا، ولاحظ لوك أن هناك تفاهما غريبا بين مس وينفلت وبريدجيت لا يعرف سره وسببه وودعتهما مس وينفلت حتى الباب الخارجي، ووقف لوك يتأمل مشهد البيت الجميل وهو يقول:

- إنه بحق منظر رائع وجميل.

وضحكت مس وينفلت قائلة:

إننا ورثناه من أبينا أنا وشقيقي وعرضناه للبيع حيث لم نكن نملك ثمن صيانته حتى جاء اللورد هوتفيلد واشترى جزءاً منه تحول إلى متحف ومكتبة أما غرف المعيشة فقد تركها على حالها والحقيقة أن اللورد رجل كريم وسخي وأنا حاليا أعمل أمينة في المكتبة نظير بقائي في المنزل.

وصافحها لوك مرة أخرى وغادر المنزل مع صديقته وفي طريق العودة سألته:

- أتحب أن تواصل بحثك وتحرياتك أم ترغب في العودة للمنزل؟



- نعم أود العودة للمنزل.

وفي الطريق مرا على حانوت التحف ونظر لوك إلى واجهة المحل ثم أردف يقول:

- إنني أرى طبقا جميلا في فاترينة هذا الحانوت يجب أن أشتريه لأهديه إلى عمتي.

فقالت الفتاة: إذن تعالى معي لمشاهدته عن قرب، وتناول لوك الطبق وراح يتأمله وخرج إليهما رجل قصير القامة رحب بهما قائلا: أهلا بك يا مس كوانوي.. أنا سعيد لوجودك هنا، وردت عليه الفتاة بتحية مماثلة كان السويرني صاحب المتجر شابا في مقتبل العمر يرتدي بزة فاقعة الألوان وكان يبدو لناظريه شاحبا، وقدمت إليه الفتاة صديقها فرحب به ثم راح يصف له مزايا الطبق قائلا: إنه طبق أثري أصيل.. إنه بالفعل جميل أليس كذلك؟

أنني مغرم بجمع هذه التحف النادرة ويعز علي بيعها ولكن هذا عملي الذي أعيش منه.

فقالت بريدجيت وهي تحاول أن ترسم شبح ابتسامة على شفتيها:

- إن مستر السويرثي فنان راق.

فصاح الشاب معترضا:

- كلا.. يا آنسة أنا مجرد تاجر يبيع التحف فقط.

- لكني سمعت أنك فنان وتهوى الرسم.

فهز السويرثي رأسه وقال:

- من الذي أخبرك.. إن الشائعات هنا لا تنتهي أبدا.

فقال لوك: أخبرتني مس وينفلت أنك رسمت لوحتين لآمي جيبس.

- أوه.. آمي.. نعم أذكر ذلك.

وبدا مرتبكا بعض الشيء وقالت بريدجيت

لقد كانت فتاة رائعة الحسن والجمال وتستحق أن يرسمها فنان عظيم مثلك

- فقال: أتعتقدين ذلك فعلا.. إنني كنت أراها مجرد فتاة عادية لا تستحق الاهتمام، ثم التفت إلى لوك متسائلا:

- ترى هل طاب لك شيئا هنا؟ الطبق معنا وثمنه رخيص جدا.. إنه.. فبادره لوك قائلا: أشكرك أنا لا أحب أن أسلب منك تحفك الثمينة.

وبذل البائع قصارى جهده في بيع الطبق بتخفيض ثمنه إلا أن لوك أصر على الرفض وفي طريق العودة سأل لوك بريدجيت قائلا:

- إن هذا الرجل بغيض إلى النفس.

- نعم وله عادات وخصال بغيضة أيضا.

- فقال لوك: إن هذا المكان لا يصلح لبيع التحف فلماذا جاء إلى هنا؟

- لا أعرف ولكن معلوماتي أنه يمارس السحر فأنت تعرف أن قريتنا كانت قاعدة للسحرة والدجالين منذ القدم.

فصاح لوك: ماذا تقولين؟ ولماذا لم تخبريني؟ أنه الشخص الذي أبحث عنه فهو سيساعدني في تأليف الكتاب.

- فقالت: إذن أنت تتوقع أنه يعرف الكثير عن هذا الموضوع؟

- قال لوك: نعم ولهذا يجب أن أقابله مرة أخرى ووصلا إلى ضاحية القرية واقتربا من شاطئ النهر وراحا يتجاذبان أطراف الحديث حول مناخ القرية وشوارعها وأبنيتها وفي الطريق التقيا برجل قصير القامة ذو شارب كث يصحب ثلاثة كلاب من فصيلة البولدوج ويصرخ أمامهما بصوت أجش وتفحص الرجل طويلا لوك وصديقته وسألها لوك بعد أن ابتعد عنه:

- أهذا هو الميجور هورتون وكلابه؟

- نعم هو بعينه.

ثم استطردت تقول: إنه رجل فضولي لا يستطيع إخفاء فضوله وتطفله ألاحظت كيف كان يتفحصك؟

- فقال لوك: دعيه وشأنه فلا أهمية لذلك.

- فقالت الفتاة: هل ترغب في الجلوس على الشاطئ قليلا؟

وجلسا معا على جذع إحدى الشجيرات الملقى على الأرض وأردفت الفتاة تقول: أصبت في نظرك.. إن الميجور هورتون كان رجلاً عسكرياً وكانت له زوجة سليطة اللسان ومستبدة إنها أسوأ زوجة شاهدتها في حياتي.

- فقال لوك: إذن هو رجل مسكين.

- فقالت الفتاة: كان يعاملها في وداعة وعذوبة وكانت تعامله بقسوة وخشونة والغريب أنه لم يفكر في قتلها ولو كنت أنا مكانه لبادرت بخنقها منذ سنة أولى زواج.

- فسألها لوك: إذن كان أهل القرية يمقتونها؟

- نعم وكانت تعامل اللورد بخشونة أيضا.. وكانت تعامله أيضا بكبرياء ولا يوجد شخص هنا إلا ومقتها وتضايق من معاملتها.

- فقال لوك متسائلا: ثم ماتت فارتاح منها؟ أليس كذلك؟

- نعم.. فمنذ عام أصابها مرض مفاجئ وكم أرهقت الدكتور توماس معها بل إن الكلاب قد طربت لرحيلها. وساد بينهما صمت طويل.. كانت بريدجيت شاردة في أفكارها أما لوك فكان يفكر في تلك المهمة التي جاء من أجل إتمامها وكان يلوم نفسه للقدوم إلى تلك القرية، لقد جاء يبحث عن سفاح مجهول رضوخا لكلمات امرأة عجوز قد تكون مخبولة أو مجنونة وفجأة تنبه من أفكاره على صوت بريدجيت وهي تقول:

- مستر لوك فيتز ويليام.. هل صارحتني بحقيقة مجيئك إلى هنا إنني أود أن أعرفها؟

★ ★ ★

الفصل السادس

فوجئ لوك بسؤالها وكان أثناء ذلك قد أشعل عوداً من الثقاب واقترب به من سيجارته وقد تسمرت يداه مكانها عقب سماعه لهذا السؤال ونسي اشتعال العود حتى أن النار كادت تحرق أصابعه، وألقى بالعود بعيدا عنه وقال:

- اللعنة.. أنت فاجأتني بهذا السؤال الذي لم أتوقعه، فابتسمت في سخرية وقالت:

- أهي حقا مفاجأة.. كنت أظن أنك تنتظر هذا السؤال في أي وقت.

- فقال: يبدو أنني نسيت أنك تتمتعين بالذكاء والفراسة، ومن الصعب خداعك، إنك بالطبع لم تصدقي مزاعمي حول تأليف كتاب عن السحر والدجل والعادات اليس كذلك؟

- فقالت الفتاة: حين التقيت بك أدركت أنك لست من هؤلاء الذين يرغبون في تأليف الكتب.

- إذن ماذا توقعتي أن أكون؟

- ظننت أنك من أصدقاء ابن عمي المفلسين وقد زعمت ذلك لكي تقيم معنا لتناول طعامك مجانا،وانفجر ضاحكا وقال: إذا فهذا أقصى ظنونك بشخصي؟

فسألته: وأنت؟ ما الذي ظننته عني؟ أرجوك تكلم في صراحة، فتردد قليلا ثم أردف يقول: كنت أظن أنني سأرى فتاة لعوباً مرحة، عرفت كيف تلقي بشباكها على اللورد لكنني وجدت فتاة شديدة العقل والحكمة والذكاء.



وضحكت بريدجيت أيضا فسألها لوك:

- وهل ارتاب اللورد في أمري؟

- كلا إنه ساذج يصدق أي شيء.

وعاد الصمت بينهما مرة أخرى وسألته مرة أخرى:

- والآن.. أخبرني بربك ماذا جاء بك إلى هنا؟ ما هو السر؟

إنك ينبغي أن تصارحني بالحقيقة.

- حسنا سأقص عليك سبب مجيء.. لقد جئت إلى هنا من أجل الكشف عن قاتل مجهول.

- تقصد السر الغامض وراء تلك الوفيات الكثيرة التي وقعت في القرية؟

- نعم أقصد ذلك.

وفكرت بريدجيت قليلا ثم قالت:

- الحق أنني تشككت في وفاة آمي جيبس ثم انتهت ظنوني إلى أنها قضاء وقدر.

- فسألها لوك: ولماذا تشككت في موتها؟

- فأجابت: أولا طلاء القبعات.

- ماذا تقصدين؟

- إن الناس هنا لم يعودوا يهتمون بطلاء القبعات كما كانوا يهتمون في الماضي.

- وحتى النساء الفقيرات لا يفعلن ذلك أيضا؟

- نعم لا يفعلن ذلك الآن.

- إذن أنت تقولين إذا كان هذا المسحوق قد انتهى زمنه



فما الذي جاء به إلى هنا أليس كذلك؟

- نعم وهذا هو سبب شكوكي وظنوني.. وهناك سبب آخر فإن شعر آمي جيبس أحمر اللون.. والطلاء أحمر اللون أيضا فمن تكون الفتاة الحمقاء التي تخلو من سلامة الذوق التي تلبس قبعة حمراء فوق شعر أحمر.

فهز رأسه قائلا:

- نعم.. هذا افتراض صحيح يثير الدهشة.

- فسألته: هل أنت من رجال شرطة سكوتلاند يارد؟

- كلا.. كنت شرطيا في مايابخ.. وتقاعدت عن العمل مؤخرا.

- إذن لماذا تفتش عن سر هذه الوفيات وبأي صفة؟

- مجرد صدفة غريبة وسبب ذلك أنني التقيت مع مس بنكرتون العجوز في القطار وقد روت لي ما حدث هنا فأثارت شكوكي وإذا صحت رواية العجوز فإن الفتاة قد قتلها الشخص الذي جئت أبحث عنه.

فقالت الفتاة: إذن فإن القاتل تسلق المنزل كما فعل الشرطي ووضع لها الزجاجة المسمومة بدلا من الدواء أليس كذلك؟

- هل ناقشت هذا الأمر مع أي أحد؟

- نعم ولكن ليس بتوسع كما نتناقش الآن كان حديثا عابرا ولكن مس وينفلت امرأة ذكية وأظن أنها توصلت إلى هذه النتيجة التي توصلنا إليها فهي تملك خيالا واسعا.

فقال لوك: إنها مثل العجوز مس بنكرتون فقد كانت



تحمل خيالا خصبا يحلق بها في سماء الأوهام.

فقالت الفتاة: قلت في رواية العجوز إنها أشارت إلى أسماء أخرى من تكون هذه الأسماء؟

فقال لوك: ذكرت الصبي الصغير وكارتر وآمي جيبس وهامبلباي.

فقالت الفتاة: غريبة.. إنه أمر يثير الدهشة.

فسألها لوك: هل لديك سبب يدعو لقتل آمي جيبس؟

فقالت: كلا.. لم تكن على عداء مع أحد.

فقال: وكارتر؟ كيف مات؟

قالت: مات غرقا في النهر حيث كان ثملا وقيل إن قدميه قد نزلت وهو يعبر أحد الجسور.

قال لوك: ربما.. وربما أيضا دفعه أحدهم في النهر.

- فقالت: احتمال وارد مثلما نظن أن أحدهم قد استبدل زجاجة الدواء بزجاجة مسحوق السم وهو ما يشير إلى قاتل خفي مجهول بيننا ولكن هل.. ارتابت مس بنكرتون؟

- نعم ارتابت لذلك تخلص منها القاتل قبل وصولها للشرطة.

دعيني أسألك هل يوجد في القرية شخص مخبول له نظرات مخيفة؟

- كلا كل من في القرية أناس عقلاء، ثم أتعتقد أن القاتل مجنون؟

- مجنون نعم ولكن يحظى باحترام أهل القرية كرجل



عاقل رشيد فاعترضت مس بريدجيت قائلة:

- انت بقولك هذا تظن أن أهل القرية كلهم سفاحين وقتلة.

- نعم وهذا لا يخدمنا بالمرة في وضع أحد داخل محيط الشبهات.

إنني سعيد لأني صارحتك بالحقيقة وسوف تكون عونا لي في مهمتي.

فقالت وهي تبتسم: نعم سأساعدك في كشف هوية هذا القاتل، ثم نظرت إلى ساعتها وقالت:

- ينبغي أن نعود للمنزل الآن فقد تأخرنا كثيرا.



الفصل السابع

وذهب لوك بصحبة الفتاة إلى القصر لتناول طعام الغداء وما أن فرغا منه حتى أسرع إلى غرفته لتجميع أفكاره ومعلوماته وبياناته التي حصل عليها من خلال تحرياته واستفسارات من أهل القرية.

ولأنه شعر بأهمية العناصر والأفكار المزدحمة في رأسه فقد تناول ورقة بيضاء وراح يكتب عليها عدة أسماء أمام كل اسم راح يضع ملاحظاته على النحو الآتي:

أولا الضحايا وهم:

١ ـ آمي جيبس: ماتت بالسم.

٢ ـ تومي بيرس: دفعه شخص ما من فوق حافة النافذة بالطابق العلوي

٣ ـ هاري كارتر: غرق في النهر ويبقى السؤال هل كان تحت تأثير الخمر أم مخدر وضعه له شخصا ما.

٤ ـ الدكتور هامبلباي: مات نتيجة تسمم في الدم.

٥ ـ مس بنكرتون: ماتت نتيجة اصطدامها بسيارة طائشة ربما كان وراءها القاتل المجهول الذي فر بعدها هاربا.

٦ ـ مسز روز: العجوز.

وبعد تردد أضاف اسم مسز هورتون، وراح يتأمل تلك القائمة ثم تناول القلم مرة أخرى وشرع يكتب الدكتور توماس: ربما كان أحد المشبوهين وهناك دوافع لذلك منها مثلا: دافع مؤكد في مسألة اغتيال الدكتور هامبلباي، حيث

إن طريقة التخلص منه تتناسب مع توماس كطبيب تمكن من توظيف علمه في القتل، تسمم بواسطة الجراثيم.

آمي جيبس زارته في نفس اليوم الذي توفيت فيه فهل هناك ثمة علاقة بينهما؟ ابتزاز مثلا أو سر غامض بينهما؟

تومي بيرس: لا أعرف مدى علاقته بالدكتور توماس وهل تومي توصل إلى سر علاقة توماس بآمي ثم هل تربطه علاقة مع كارتر أغلب الظن أنها علامات استفهام تنتظر الإجابة عليها.

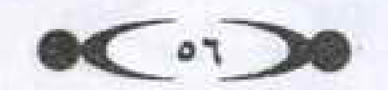
- هل كان الدكتور توماس غائبا عن القرية يوم مصرع مس بنكرتون في العاصمة لندن؟

وتنهد لوك بقوة حيث كان يشعر أنه في مأزق وأمامه لغز يستعصي عليه فك رموزه، وراح يكتب سطرا جديدا جاء فيه:

ثانيا: دائرة الاشتباه تضم:

مستر أبوت المحامي وهو شخصية معقدة ورجل يتصف بالمراوغة لا يميل للصراحة والوضوح يتمتع بالمكر والدهاء، من دوافع قتله للدكتور هامبلباي أن نزاعا دب بينهما بشأن مشروع مرفق المياه.. هاجم أبوت بعنف وسلاطة لسان مما دفع بوت وهو صاحب عقل مهزوز لارتكاب جريمته.. يبدو أن مس بنكرتون أدركت العداء الذي دب بينهما.

تومي بيرس: يبدو أنه تمكن من الاطلاع على بعض الأسرار الخطيرة أثناء عمله لدى أبوت المحامي فكان دافعا



للمحامي لكي يتخلص منه حرصا على عدم كشف هذه الأسرار.

هاري كارتر: لم أتوصل بعد إلى وجود علاقة واضحة.

آمي جيبس: لا توجد أيضا علاقة واضحة بينهما والقتل من خلال طلاء القبعات أسلوب يتواءم مع عقلية آبوت المتخلفة والرجعية ثم هل كان أبوت داخل القرية يوم مصرع مس بنكرتون في لندن؟

الميجور هورتون: ربما أصبح محل اشتباه، ليست له علاقة معروفة مع آمي جيبس أو تومي بيرس أو كارتر ثم ماذا عن وفاة زوجته مسز هورتون يبدو لي أنها ماتت متأثرة بسم الزرنيخ وفي تلك الحالة تكون حوادث القتل الأخرى قد وقعت بسبب محاولات ابتزاز هورتون وسلب أمواله، ولاشك أن ثمة ملحوظة هامة تتعلق بالدكتور توماس فهو الذي كان مسئولا عن علاجها كما كان مسئولا عن علاج آمي جيبس.

مستر السويرثي بائع التحف: رجل بغيض يمارس أعمالا سحرية ربما هو مصاب بنزعة هوس وجنون تجعله متعطشا إلى إراقة الدماء شأنه في ذلك شأن هؤلاء السحرة الملاعين الذين يروق لهم ذلك.. ولكن هل تربطه علاقة مع آمي جيبس؟ هل كان يعرف تومي جيدا؟ وماذا عن علاقاته مع كارتر؟

للأسف كل هذه الأسئلة تحتاج إلى إجابة قاطعة.

وهل تربطه علاقة من نوع ما مع الدكتور هامبلباي؟



وهل لاحظ الطبيب من خلال خبراته أن السويرثي رجل مجنون أو مخبول وماذا عن مس بنكرتون؟ وهل كان السويرثي خارج القرية يوم مصرعها في لندن؟

مستر ويك قس الإبراشية: من الممكن أن يكون ضمن دائرة المشبوهين هو بالطبع احتمال بعيد إلا أنه قائم.. ربما متعصب إلى حد الهوس فربما ظن أن رسالته الدينية تدفعه للتخلص من البشر الذين لا يميلون إلى الالتزام الديني شأنه في ذلك شأن كافة رجال الدين المتعصبين كما يلاحظ أن كارتر وتومي وآمي يتصفون بالسلوك الذي يتعارض مع القيم الدينية وينبغي التخلص منهم.

مستر جونز مدير البنك: لا تتوافر أية معلومات عنه حتى الآن.

خطيب آمي جيبس: ربما كانت في حوزته دوافع شرية لقتلها إلا أنه احتمال بعيد خاصة أنه كان يعشقها إلى حد الجنون.



واخذ لوك يقرأ هذه القائمة عدة مرات ويتأملها طويلا وفي نهاية المطاف هز رأسه وغمغم بكلمات واهنة محدثا نفسه:

- إن المسألة لاتزال غامضة تعيش وتتمدد في جنح ظلام الليل وسرعان ما ألقى بالقائمة في نيران المدفأة وراح يرقبها حتى تحولت إلى رماد أمام عينيه.



الفصل الثامن

اتجه لوك إلى عيادة الدكتور توماس وقدم له نفسه وشرح له متاعبه الصحية التي لازمته وجلس توماس على مقعده مرحبا به ثم بادر قائلا له: أهلا بك هنا إنني سعيد لوجودك بيننا في هذه القرية.

ولم يعلق لوك على كلامه حيث كان شارد الذهن ولكن حدث نفسه قائلا:

- رغم صغر سنه الذي لا يتعدى الثلاثين من العمر إلا أنه ماهر في عمله حيث نجح في تشخيص أوجاعي الروماتزمية تماما كما وصفها كبار أطباء لندن المتمرسين.

وتبنه لوك من شروده وقال لتوماس:

لقد طمأنتني يا دكتور بأن الجلسات الكهربائية سوف تزيل هذه الأوجاع وأنا لا أريد أن أصير مقعدا في أيامي الأخيرة، وابتسم الدكتور توماس قائلا:

لا تخف يا سيدي الأمر سهل ويسير.

فعلق لوك قائلا في دهاء:

نعم أنا كنت أخشى أن تزداد أوجاعي سوء والحق أن الطبيب القدير يبدو لدى مريضه أنه ساحر يأتي بمعجزات خارقة تفوق الواقع.

فقال توماس: بهذه المناسبة أظن أنك تسعى لتأليف كتابا عن السحر أليس كذلك؟

فنظر إليه لوك في دهشة قائلا:

- ماذا؟ غريبة.. كيف نما إلى علمك هذا؟



فابتسم الدكتور توماس وهو يقول:

– لا تستغرب فالأخبار هنا في قريتنا تنتشر كالنار في الهشيم.

– فقال لوك: نعم أعرف ذلك وطبعا قيل إنني مارست بعض الطقوس الدينية وقمت بعمليات تحضير أرواح.

– ليس غريبا أن تقول ذلك فبعضهم أكد لي أنك قمت بتحضير روح تومي بيرس.

– بيرس؟ بيرس؟ تقصد الصبي الذي سقط من فوق حافة النافذة.

– هو بعينه.. إن مستر أبوت المحامي هو الذي أخبرني بذلك، فانفجر لوك ضاحكا وهو يقول:

– أوه إنني أشرت في حديثي إلى اسم هذا الصبي فقط ولم أزد على ذلك.

– فقال الدكتور توماس: هل أنت تعتقد في ظهور الأشباح يا مستر لوك؟

– يبدو لي من لهجتك أنك لا تؤمن بها يا دكتور والواقع أنني شاهدت عدة ظواهر غريبة نتيجة ميتات فجائية أو أقصد ميتات شاذة اتسمت بالعنف لكن الحقيقة أن اهتمامي يتعلق بالخرافات المرتبطة بتلك الحوادث والتي تزعم أن روح القتيل لا تهدأ إلا بعد أن يثأر أهلها من القاتل كما يقال أيضا إن دم القتيل يظل في نزيفه وسريانه رغم مفارقته للحياة إذا اتفق على أن القاتل لمس جسده!!!

فقال الدكتور توماس: إنها بحق معتقدات غريبة وإن

أصبح الناس الآن لا يؤمنون بها مثلما كان يحدث من قبل.

– كلا.. إن بعض الناس يؤمنون بها وفي قريتكم وقعت حوادث قتل نادرة.

– نعم.. ففي السنوات الماضية وقعت حوادث قتل كثيرة والآن لا شيء منها.

– فقال لوك وهو يتفحص وجه الطبيب:

– إلا إذا كان هناك من ألقى بالفتى تومي من حافة النافذة.

فابتسم توماس وبدت كابتسامة الأطفال وهو يقول:

– جميع أهل القرية تمنوا تهشيم رأس هذا الفتى السخيف إلا أن أحدا منهم لا يمكن أن يفكر في قتله.

– أوه إن هذا الفتى يبدو أنه كان أحمق وحقيرا فالناس هنا أسعدهم موته بل يتفاخرون هنا بالخلاص منه على يد ملك الموت.

– فقال توماس بعد أن هز رأسه:

– كلا.. كلا ليس بيننا عدد كبير يؤمن بتلك المبادئ.

– فقال لوك: هذا شيء مؤسف.. أنا مثلا أظن أن بعض عمليات القتل بالجملة من شأنها أن تفيد المجتمع في بعض الأحيان.. مثلا هناك المخمورون الذين لا يفيقون من الشراب المفرط أو تلك العانسات التي لا ترحم أحدا أو أصحاب الأفكار الرجعية الذين يعرقلون عجلة الحداثة والتطور من الدوران والتقدم إلى الأمام.. فلو أن مثل هؤلاء قد تم التخلص منهم لربح المجتمع الكثير من وراء ذلك.

وضحك توماس وهو يقول:

- أوه ماذا تقول؟ أنت إذن تدعو لجريمة جماعية على نطاق كبير.

- أقصد التخلص ممن يضرون مجتمعاتهم هذا هو ما ادعو إليه ألا توافقني على هذا؟

- هذا رأي عاقل لاشك في ذلك.

فتأمله لوك برهة ثم أردف قائلا في حزم:

«يبدو لي أنك لست جادا في كلامك.. لكنني لا أمزح.. فأنا اعتقد أن من واجب الدولة التخلص ممن يقف حجر عثرة في طريق رقيها ونهضتها دون تردد أو إحساس بالندم»

- فقال توماس متسائلا:

ومن ترشحه للحكم في ذلك؟ من لديه الصلاحية لتصنيف الناس بين سيئ وأسوأ أو حسن وأحسن ومن له حق العيش ومن ينطبق عليه قانون الموت الرحيم بالمجتمع؟

فقال لوك متراجعا:

- أعترف لك أن هذه هي المشكلة المعقدة في هذا الأمر.

وأردف توماس موضحا رأيه قائلا:

- يوجد بيننا الكاثوليكي الذي يؤمن بضرورة التخلص من الشيوعي بينما ينادي مجتمعاتهم بأهمية القضاء على جميع رجال الدين على اعتبار انهم يدعون مجتمعاتهم للإيمان بالدجل والخرافات الدينية والطبيب يؤمن بأهمية



وجود تطبيق قانون القتل الرحيم للمرضى الذين يعانون من أمراض مزمنة لا يستطيعون تحمل أوجاعها والراغبين في السلام يتمنون قتل كل الجنود التي تقاتل من أجل أوطانها.. وهكذا.

- فقال لوك: ينبغي أن يتسم الحكم بالحكمة والحصافة والمنطق السليم فليكن الحكم طبيبا مثلا فهو بحكم عمله لديه القدرة على إصدار حكم نزيه ومحايد.. أنت مثلا يا دكتور تصلح حكما محايدا وقديرا.

- فعقب توماس: إن رسالتي تقودني إلى الإصلاح لا إلى القتل.

- فقال لوك: حسنا فلنأخذ كارتر نموذجا مادمنا نتناقش معا.

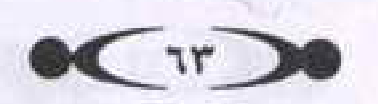
- فأجاب توماس بصوت عالي النبرات:

- أوه.. كارتر صاحب حانة النجوم السبعة؟

- نعم.. أنا لم أشاهده لكن مس كوانوي ابنة عمي حدثتني عنه ووصفته بالوضاعة والخسة والحقارة وغير ذلك من النعوت.

- فعلق توماس بقوله: نعم.. هذا صحيح بل كان أفاقا وسكيرا وسيئ الطباع مع زوجته وأهله ومجتمعه وكان ينهال ضربا على ابنته واتصف بسلاطة اللسان وكان كثير الشجار مع جيرانه.

- إذن تصدقني القول أن غيابه صار أفضل للمجتمع أم لا؟



- ربما أشاطرك الرأي في هذا الأمر.

وأردف لوك قائلا: إذن فلو أن أحدهم قد دفع به وهو مخمور لكي يغرق في قاع النهر الا يستحق قاتله وساماً على صدره لأنه صنع عملا رائعا لخدمة المجتمع.

ونظر الدكتور توماس إلى لوك في دهشة وهو يقول:

- إذا كنت تبشر بهذه الأفكار فهل قمت بتطبيقها عمليا؟

فانفجر لوك ضاحكا وهو يقول:

- كلا.. فهي عندي مجرد نظريات أما تطبيقها فلا.

فعقب الدكتور توماس قائلا:

- هذا ما اعتقده.. فالقاتل الحقيقي لا يبوح بأسراره وأنت تتحدث بكل صراحة ولا تتحلى بالحيطة والحذر

- فقال لوك: وما يدريك.. فربما أنني متعصب مخبول وأحب أن أتفاخر بما أفعل أليس كذلك؟

- حتى هذه لا أصدقها لأن القاتل دائما بعيد عن الشبهات.

- فقال لوك: قل لي يا دكتور.. هل التقيت في عيادتك بشخص ما اعتقد أنه قاتل؟

- فقال توماس: أوه.. إن هذا سؤال غريب..!

- لماذا وأنت بحكم مهنتك تستطيع معرفة أحوال المرضى النفسية أكثر من غيرك ويمكن الحكم على سلامة قواهم العقلية.

- فقال الطبيب: دعني أوضح لك أمرا غامضا..

فالناس يظنون أن المجنون رجل يجري في الشارع وفي يده آلة حادة للقتل.. كلا يا عزيزي إن الرجل المخبول من عادته دائما أنه يتصف بالرقة والوداعة لذلك يصعب اكتشافه من بين الناس لأنه يكون أحد وجهاء المجتمع. بل ويحظى بمكانة طيبة ومرموقة في نظر المحيطين به، وفجأة نهض لوك واقفا وهو يقول:

- أخشى أنا أكون قد بددت وقتك في نقاش عقيم.

- كلا فإن عملي هذا اليوم قليل فهذه القرية يتمتع الناس فيها بصحة جيدة نظرا لروعة المناخ وابتعاده عن مناطق وأسباب التلوث البيئي.

- فقال لوك: على فكرة إن مس كوانوي ابنة عمي مدحت فيك كثيرا وأنا شخصيا تأكدت من صدق هذا الإطراء والمدح حين قمت بتشخيص حالتي والتي توافقت مع كبار الأطباء في العاصمة لندن.. بربك لماذا تقيم هنا وأنت نابغة؟ إن مكانك هناك يا سيدي في لندن.

- إن الطبيب الممارس العام ينبغي أن يكتسب الخبرات اللازمة في عمله لهذا فقد طابت لي الإقامة هنا بغية اكتساب الخبرة كطبيب ممارس بعيدا عن الاستغراق في أي تخصص كما يفعل عادة بعض الأطباء الجدد.

- ولكن إلى متى ستظل هنا في الظلام إن زميلك الراحل الدكتور هامبلباي لم يكن طامحا أو متطلعا للمستقبل في عمله ولو ظل هنا طيلة حياته ما ضره ذلك أي شيء أما أنت فتختلف كثيرا عنه.



- أنت على حق في هذا القول.

وأردف لوك: لقد علمت أيضا أنه كان متخلفا ورجعيا في أسلوب علاجه.

- نعم وهذا يعود لكونه من أنصار المدرسة الطبية الرجعية.

وأجاب لوك قائلا:

- ولقد سمعت أن له ابنة رائعة الحسن والجمال.

ولاحظ لوك أن وجه الدكتور توماس قد تغير وتلون ثم قال:

- آه.. آه.. أعتقد ذلك.

وتماسك الدكتور وقال فجأة لتغيير دفة الحوار:

- على فكرة بمناسبة حوارنا عن الجرائم بمقدروي أن أمدك بكتاب من عندي يتحدث عن «الجريمة ومركب عقدة النقص» ومؤلفه عالم نفس ألماني يدعى كراوهامر.

- أشكرك إنه صنيع رائع منك.

وتناول الدكتور توماس الكتاب من أحد رفوف مكتبته وهو يقول: «قد يكون الكتاب علمياً بحتاً يعتمد على النظريات العلمية فقط ومن أروع فصوله في اعتقادي الفصل الخاص بالممرضة آنى هيلم والفصل الخاص بالقاتل مينزهيلد المعروف بالسفاح».

فقال لوك: أذكر أن هذه الممرضة قتلت نحو عشرة أشخاص وقد كانت بعيدة تماما عن مرمى الشبهات.

- نعم هذا صحيح.. وتحليل المؤلف للشخصيات جاء



رائعا وعميقا.

- فقال لوك: يا إلهي.. كيف تمكن هؤلاء القتلة أن يرتكبوا جرائمهم وهم بعيدون عن مرمى الشبهات.

- فقال الطبيب: إن هذا يا صديقي هو أسهل شيء والمرء الذي يتحلى بالذكاء بمقدوره أن يرتكب جرائمه دون أن يثير حوله شبهة واحدة.

قال الدكتور توماس هذه العبارة وهو يبتسم ابتسامة ماكرة لافتة للأنظار، وغادر لوك عيادته وهو يفكر في معنى هذه العبارة ومغزى تلك الابتسامة الماكرة.

* * *



الفصل التاسع

وانطلق لوك في طريق العودة واتجه إلى أحد الحوانيت الصغيرة الكائنة في شارع هاي لشراء علبة سجائر وصحيفة يومية وتصفح الجريدة وهو مازال داخل الحانوت والقى نظرة خاطفة على نتائج المراهنات لكرة القدم ثم صاح قائلا:

- أوه.. لقد خسرت مائة جنيه في المراهنات فسمعته صاحبة الحانوت التي جاءت لمواسته ومجاملته ثم تجاذبا أطراف الحديث في شتى الموضوعات وعلقت المرأة قائلة:

- إن زوجي مستر بيرس يهوى مباريات كرة القدم وإذا وقعت تحت يده صفحة بادر بقراءة الأخبار الرياضية ولكن كثيرا ما خاب أمله مثل سائر الناس الذين يتوقعون النصر فيتعرضون للهزيمة ويربح من ظن أنه سيخسر.

وأيدها لوك في هذا الرأي قائلا:

- لو أن الحظ لم يحالفنا في مباريات الكرة لهان الأمر ولكنه للأسف يعاندنا في أمور أخرى بل ويسدد لنا ضربات قوية قاتلة، وانطلقت هذه الكلمات كالرصاص في عقل وقلب تلك السيدة المكلومة التي انفجرت أحزانها وتناثرت كالشظايا لتقول في أسى:

- أن أقدر هذا الكلام يا سيدي، وقد عانيت كثيرا من سوء الحظ فأنا امرأة مكلومة وبإمكانك أن تكتشف هذا بسهولة فلقد رزقني الرب بثمانية أولاد ومات منهم اثنان.

- فعلق لوك مواسيا:



- أوه.. إن هذا شيء يدعو للأسف حقا.

وأردفت المرأة تقول: لقد مات ثانيهما منذ شهر تقريبا.

- هل كان مصابا بمرض ما؟

- كلا يا سيدي.. لقد مات إثر حادث أليم حيث كان ينظف نافذة مكتبة القرية فزلت قدماه وسقط منها صريعا على الأرض. وغمغم لوك ببعض الكلمات لمواساة السيدة حتى جاء زوجها الذي انفعل بدوره وراح يقص على لوك أحداث المأساة.

فعلق لوك: إن بعض الناس قالوا لي إنه كان يرقص على حافة النافذة.

ويأتي ببعض الألعاب البهلوانية لإضحاك الناس.

فأجابت مسز بيرس: أعترف يا سيدي أن الصبي كان طائشا ومندفعا وكثيرا ما أثار حفيظة أهل القرية وضايقهم بتصرفاته الصبيانية ولقد عاكس ذات مرة الميجور هورتون وهو رجل لا يميل للمزاح وتضايق كثيرا.

فقال لوك: تقصدين الميجور هورتون صاحب الكلاب البولدوج؟

فقالت السيدة: هو بعينه يا سيدي.. وهو أيضا الذي ذكر أمام أهل القرية أنه شاهده يرقص في النافذة فإذا كان ما قاله صحيحا فأي مفاجأة حدثت جعلته يختل فوق النافذة ليسقط بسهولة.. إن ابني كان مشاكسا حقا لكنه صاحب قلب طيب ولم يكن شريرا كما يزعم أهل القرية الملاعين.



- أنا متأكد من ذلك يا سيدتي ولكن الناس التي زعمت أنه كان شريرا تناسوا أنهم كانوا يفعلون مثله في أيام صباهم، وشعرت مسز بيرس بالارتياح لهذا القول ثم صاحت تقول:

- صدقت يا سيدي صدقت.. إن بعض الناس كانا يتميزون بالغيظ إذا حاول مداعبتهم أو ارتكاب هفوة بسيطة في أثناء عمله، واستطردت مسز بيرس تقول: كان تومي المسكين يجيد ببراعة تقليد كافة الشخصيات بطريقة كوميدية وقد قلد مستر السويرثي صاحب حانوت التحف، كما قلد مستر هويز حارس الكنيسة ثم قام ذات مرة بتقليد اللورد هوتفيلد أمام المزارعين الذين انفجروا ضاحكين وحدث أن اللورد قد جاء فجأة في أثناء قيامه بتقليده وغضب لما شاهده من تومي والحقيقة أنه كان رجلاً متسامحاً وطيب القلب فبحث عن عمل آخر لتومي قبل قيامه بفصله.

- ومخدومه الجديد؟ ألم يغضب على تومي أبدا؟

- كلا.. لقد غضب أيضا.. إن اللورد ألحقه بالعمل لدى مستر أبوت المحامي وحدث أن رآه يعبث في أوراقه السرية فثار وغضب رغم أنني أعرف أن تومي لم يقرأ فيها إلا النذر اليسير.

- فتساءل لوك: وما الذي ضبطه يقرؤه؟ وصية مثلا؟

- كلا يا سيدي.. لقد قرأ مجرد خطاب خاص من إحدى السيدات وكان تومي قد قرأ بضع سطور فقط من



الخطاب بل إنه لم يعرف من هي صاحبة هذا الخطاب.

وانبرت مسز بيرس تقول:

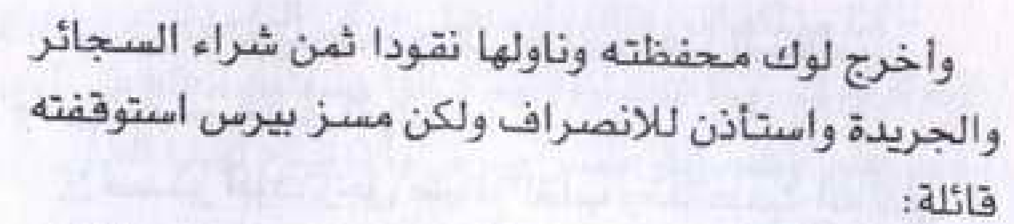
- إن مستر أبوت رجل غليظ القلب وقد علمت أنه كان على خلاف شديد مع مستر هامبلباي بشأن مشروع مرفق المياه وذلك قبل وفاة الدكتور والمؤسف أن يرتبط اسم مستر أبوت بهذه الوفيات.

- فقال لوك: أتقصدين أنه إذا اختلف مع شخص مات هذا الشخص؟! لقد اختلف مع الدكتور هامبلباي فمات ثم اختلف مع تومي فمات، الواقع أنها مجرد صدفة لا أكثر ولا أقل.

فقالت المرأة: هناك أيضا هاري كارتر صاحب حانة النجوم السبعة لقد تبادلا كلمات حادة وبعد هذه المشادة بنحو أسبوع سقط كارتر في النهر وغرق ومع ذلك فلم يوجه أحد اللوم إلى مستر أبوت في هذه المشاحنة بل وجهوا اللوم كله إلى مستر كارتر.. وفي أحد الأيام ذهب إلى بيت مستر أبوت ووقف أمام الدار يسب ويلعن بأعلى صوته وبأبشع أنواع السباب لأنه كان مخمورا، وأردفت مسز بيرس تقول: كان كارتر عنيفا وموته بصراحة جاء إنقاذا لزوجته المسكينة التي كان يؤذيها يوميا بضربه المبرح لها.

فقال لوك: لقد كانت له ابنة أيضا أليس كذلك؟

- نعم.. وهي فتاة جميلة.. وسمعت أنها كانت على علاقة غرامية مع مستر أبوت وتأكدت هذه الأقاويل عقب ذهاب كارتر إليه للشجار معه.



واخرج لوك محفظته وناولها نقودا ثمن شراء السجائر والجريدة واستأذن للانصراف ولكن مسز بيرس استوقفته قائلة:

- أنا أعرف يا سيدي أنك تقيم في قصر اللورد هوتفيلد من أجل تأليف كتاب عن السحر والسحرة وأعرف أنك ابن عم مس كونواي وهي فتاة جميلة ورقيقة وإننا سعداء أنها ستكون زوجة للورد عما قريب.

وأثنى عليها وانصرف وهو يفكر فيما روته السيدة له، ثم قال في نفسه وهو في طريق عودته.

- إن الشبهات كلها تدور حول أبوت.. تشاجر مع هامبلباي ومات ثم تشاجر مع كارتر وإذا به يموت أيضا وأخيرا مع تومي بيرس.. لقد ضبطه هذا الأخير متلبسا بالاطلاع على أحد الخطابات الشخصية وربما كان في هذا الخطاب سراً خشي أن يبوح به تومي لأحد فقرر التخلص منه والآن يبقى السؤال من تكون صاحبة هذا الخطاب؟ أهي آمي جيبس؟ وهل كانت هناك علاقة غرامية بينهما وقد كتبت تهدده وتتوعده للزواج منها أم لابتزازه؟ أم أن آمي عرفت سر علاقته مع ابنة كارتر فأرادت تهديده بغرض الابتزاز؟

سواء هذا أو غيره فإن آمي ماتت مسمومة بمسحوق الطلاء؟

واتجه لوك بمحاذاة الشاطئ في طريقه إلى القصر وقد غرق في أفكاره وفجأة لمح شخصين يسيران معا في ناحية الغابة وكانت المفاجأة أن اكتشف أن هذين الشخصين هما

السيويرثي صاحب محل التحف وابنة عمه المزعومة بريدجيت كونواي كانا غارقان معا في الحديث.

وقال لوك محدثا نفسه وهو في ذهول:

- عن أي موضوع يتحدثان؟ الحق أني متعجب من أمر هذه الفتاة؟ فما الذي دفعها للقاء هذا الرجل وهو رجل بغيض النفس وقد قالت هي ذلك أيضا وراح لوك يتأملهما وهما يسيران معا بهدوء والهواء يغازل شعرها الأسود الجميل وقد كانت أشبه بملاك يحلق بأجنحته في الفضاء واستطرد قائلا: أوه يالها من فتاة رائعة.. فتنت بجمالها وسحرت فؤادي وملكته.





الفصل العاشر

بينما كان لوك ينظر إلى ابنة عمه المزعومة ويترقب خطواتها تسلل إليه صوت رقيق انبعث من خلفه فجأة.

كان الصوت لفتاة جميلة في ريعان الشباب صاحبة عينين زرقاوين وشعر أشقر ذهبي ووجه مشرب بالحمرة كأنه شعلة نار وبادرت الفتاة قائلة: أنت مستر فيتزويليام لوك طبعا؟ أنا يا سيدي روز هامبلباي.. إن ابنة عمك أخبرتني أنك تعرف أناسا كانوا على علاقة بأبي.

- فأجابها: كان ذلك منذ زمن بعيد.. قبل زواج والدك.

وأحس لوك أن الفتاة مرتبكة واستطردت تقول:

- إنني سمعت أنك متفرغ لتأليف كتابا عن العادات القديمة هنا وهو موضوع لطيف بالفعل.

- فقال لوك ضاحكا: وما يدريك قد يكون كتابا سخيفا إذا قرأه الناس.

- فقالت: كلا.. أنا لا أعتقد هذا.. ولكن هل أنت تؤمن بالأشباح والأرواح وهذه الخرافات؟

- فأجاب: أحيانا يهتم المرء بأشياء لا تروق له.

- هذا غريب.. فقد ظننت أن الناس لا يهتمون إلا بما يؤمنون.

- فقال لوك: وماذا عنك؟ هل تعتقدين بوجود الأشباح؟

- قالت: كلا.. لا أؤمن بها.. وإن كنت أعتقد أن قريتنا حلت بها لعنة مؤخرا حيث تعرض الكثير منها للموت غرقا أو وقوعا من شاهق أو موتا بالسم.. إنني أتمنى الخروج



من هنا.

- فقال لوك: إنني أتفهم مشاعرك وأحاسيسك.

- لقد مات فجأة فكانت صدمة شديدة على نفسي كما كان موت مسز بنكرتون أيضا.

- فقال لوك: لقد كانت سيدة لطيفة.

فابتسمت روز قائلة:

- إذن أنت كنت تعرفها أيضا.. لقد كنت أحبها وأرتاح إلى حديثها رغم أنها كانت شاطحة الخيال.

- فسألها لوك: وما السبب؟

- كانت دائما تحذرني من خطر يحيط بي.. كانت تتوقع حدوث كارثة ستودي بي وإذا سألتها عن سر هذا الكلام كانت تجيب أن هذا مجرد إحساس داخلي والغريب أنها قد أحست قبل سفرها أنها ستتعرض لحادث شرير وبالفعل صرعتها إحدى السيارات الطائشة حتى أنني اعتقدت أنها تتمتع بالحاسة السادسة لكشف أحداث المستقبل.

وعقب لوك قائلا: في بعض الأوقات يستطيع بعض الناس كشف حوادث المستقبل بسبب ذكائهم وفراستهم وليس هذا من قبيل الخزعبلات.

فقالت: وهذا ما جعلني قلقة أحيانا إذا سمعت تحذيراتها.

فقال لوك: يجب عليك يا عزيزتي أن تتخلصي من هذا القلق فالمستقبل في علم الغيب لا يطلع عليه أحد.

واستطردت الفتاة تقول في خجل وارتباك:

- أود أن أفصح عن شيء مـا يتعلق بمس كونواي ابنة عمك.

فسألها متلهفا: ماذا عنها بربك؟

- إن مس بنكرتون كانت قلقة بشأنها وكانت خائفة عليـهـا والتـفت فـجـأة ناحيـة الغـابة، إن بريدجيت مع السوبرثي البغيض وربما أراد بها شرا.

وكأن الفتاة احست بما يجول في خاطره وقالت:

- هل تحب مستر السوبرثي؟

- كلا.. كلا.. بكل تأكيد.

فـقـالت: وجـيـرفـري أيضـا لا تحبـه.. أقـصـد تومـاس الطبيب.

- فقال: وأنت؟ ما هو رأيك؟

- هنـاك بعض الأقـاويل والشـائعـات تدور حـوله فـقـد سمعت انه اقام حفلا في حديقة السحرة في القرية ضم أصدقاءه القدامى الذين جاءوا من لندن وقد حضر تومي بيرس هذا الحفل.

كان هذا الخبر مفاجأة مذهلة للوك.

والتفت إليها متسائلا بصوت عالي:

- هل أنت متأكدة أن تومي حضر هذا الحفل؟

- نعم بكل تأكيد.. وكان يلبس طرطورا أحمر ومعطفا من نفس اللون.

- ومتى حدث هذا؟

- حـدث ذلك في شـهـر مـارس الماضي حيث كـان تومي



شديد التطفل يحب أن يعرف كل شيء يدور في القرية.

- فقال لوك: لعله عرف أشياء كان يجب الا يعرفها.

- وأردفت روز: لقد كان أيضا يميل إلى القسوة والغلظة مع الحيوانات الأليفة.

- كـان تومي إذن من هؤلاء الذين يتـمنون النـاس مـوته والخلاص منه.

- نعم ولكن أمه تعرضت لصدمة عنيفة إثر موته.

- إن لديها أولاداً غيره ستنشغل بهم.

- إذن أنت قابلتها.. إنها سيدة ثرثارة.

- فقال لوك: صدقت.. ما أن اشتريت منها علبة سجائر حتى دعمتني بمعلومات عن جميع أهل القرية.

- فقالت روز في ضيق: إنها قرية بغيضة.. لا توجد فيها أسرار.

- فقال لوك: كلا إن لكل إنسان سرا يحتفظ به لنفسـه مهما كان الأمر، فنظرت إليه الفتاة في ارتباك وقالت:

- مستر لوك أرجو ألا تردد هذه العبارات المخيفة على مسامعي، فنظر إليها قائلا: هل روعتك هذه الكلمات؟

فأومأت برأسها إيجابا ثم التفتت فجأة وهي تقول:

- أظن أنه يجب أن انصرف حـالا.. إن أمي تتلهف على مقـابلتك مـادمت تعرف بعض أصـدقـاء أبي.. ليـتك تزورنا في أي يوم.

- سوف أقوم بزيارتكما قريبا.

وانصرفت الفتاة ولاحقها لوك بنظرات حانية وتمنى أن



يحميها من أي أذى يحيط بها، ولكن أي أذى يحيط بها؟

إنه لم يعرف الإجابة على هذا السؤال حتى الآن.

إنها فقدت أباها فجأة وأمها على قيد الحياة وهي مخطوبة لأحد الشبان المرموقين وعلى وشك الزواج منه.. إذن ممن يخاف عليها؟

★ ★ ★

وغرق لوك في بحر أفكاره وانتبه فجأة على صوت خطوات تشق الأرض نحوه ورفع رأسه وتطلع وإذا به يجد السويرثي يهبط التل عائدا من الغابة بمفرده وعلى وجهه إمارات السعادة والاطمئنان.

وتجمد لوك في مكانه وتملكه الخوف والرعب على مصير مس كونواي وراح يتساءل أين ذهبت بريدجيت إذن؟ إن الرجل عاد بمفرده؟

ما الذي فعل بها ولماذا لم تعد معه؟

وحين أقبل السويرثي على لوك تصور لوك أن السويرثي يحمل وجه شيطان وراحا يتصافحان فسأله لوك:

- يبدو أنك كنت تستمتع بأشعة الشمس والمناظر الطبيعية في الغابة؟

- فأجاب السويرثي: كلا.. كلا.. أنا لا أميل إلى المناظر الطبيعية فالإنسان لابد أن يتطهر أولا حتى يرى الوجود جميلا.

- فقال لوك: كيف يتطهر الإنسان؟

- إن الأساليب لذلك كثيرة ومتشعبة ولكن يجب أن



يتحلى المرء بالذوق السليم والحس المرهف.. والإنسان إذا أراد أن يستمتع بالحياة يجب أن يكون مجنونا فالعقل قيد على الإنسان لأنه يرغمه على إتباع عادات وتقاليد تتعلق بمجتمعه.. أما المجنون فهو نعمة كبرى فمعناه في نظري الانطلاق بدون قيود.. معناه أيضا أن تطير النفس إلى أي فضاء ترغب فيه إن المجنون يرى الحياة من زاوية تختلف عن سائر الناس.

وتوقف السويرثي فجأة عن الكلام ثم أردف قائلا:

- يؤسفني أن عرقلت ممارستك لهوايتك.

وانصرف بعد أن صافح لوك ثم اتجه إلى طريقه.

وهز لوك رأسه وهو يتعقبه ببصره وقال محدثا نفسه:

- هذا الرجل سخيف وشديد الغباء.

وعاد إليه الشعور بالقلق والخوف على مس كونواي، واتجه لوك إلى التل للبحث عن مس كونواي وهو مضطرب كانت الشمس قد بدأت في المغيب وتلبدت السماء بالسحب الغائمة التي تبعث الرهبة في القلوب والجو كله يدعو للجريمة.

واتجه لوك إلى حديقة السحرة وهو المكان المفضل للسحرة الذين يعقدون مؤتمرهم السنوي بداخلها، وهناك لمح على بعد أمتار مس كونواي تجلس على جذع شجرة مستغرقة في التفكير واقترب منها وهو يصيح طربا:

- بريدجيت هل أنت بخير؟

فرفعت رأسها في بطء وكانت شاردة كأنها لا تدري بما



يدور من حولها فعاد لوك يسألها مرة أخرى:

- بريدجيت أنت بخير أليس كذلك يا عزيزتي؟

فنظرت إليه في إستغراب وهي تقول:

- أنا بخير طبعا.. ولكن لماذا تسأل؟ ولماذا انزعجت هكذا؟

كانت كلماتها تنطوي على عداء غريب ناحية لوك وابتسم لوك وأجاب:

- أنا لا أعرف لماذا..؟ ولكن الخوف ملكني فعلا عليك؟

- وما السبب في ذلك يا مستر لوك؟

- أنا لا أعرف.. ربما المناخ الذي يسود القرية وربما هذا المكان ثم أنني أشعر انك إذا اختفيت عني ساعة ظننت أن مكروهاً أصابك والتفت لوك حوله وتساءل في دهشة.

- أهذه هي حديقة السحرة؟

- فأومأت بريدجيت براسها إيجابا فأردف لوك قائلا:

- أتدرين الآن ماذا يجول في خاطري وخصلات شعرك تتطاير.

- فنظرت إليه متلهفة لسماع ما سيقول.

- أتخيل الآن أنك إحدى الساحرات.

فابتسمت وهي تقول: إن السوبرثي قال لي ذلك أيضا منذ قليل.

- فقال لوك: السوبرثي؟ لقد قابلته منذ قليل وكان حديثه سخيفا معي.

- وهل نجح في إستفزازك حقا؟

- نعم لأنه جل تبدو عليه علامات الجنون في بعض الأوقات.

- فقالت بريدجيت: إنه نفس شعوري نحوه.. لقد فكرت كثيرا ليلة أمس في هذه الأمور التي تشغلنا وتوصلت إلى حقيقة هي أن مرتكب هذه الجرائم لابد أن يكون مجنونا.

وتذكر لوك حديث الدكتور توماس حتى قال لها:

- إن المجنون يبدو أمامنا عاقلاً ومتزناً لكي يبعد الشبهات عنه.

- المهم أنني درست ليلة أمس أحوال أهل القرية وتأكدت أن السوبرثي هو المجنون الوحيد الذي يمكنه ارتكاب هذه الجرائم إنه شخص غريب الطباع شاذ.

- فاعترض لوك قائلا:

- كلا أنا لا أظن أنه الوحيد المجنون بين أهل القرية.

فقالت: ولكن انظر إلى يديه.. إن له يدين كريهتين.

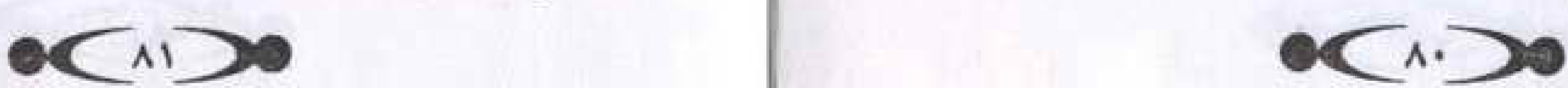
فقال لوك: إذن أنت أدركت هذا الأمر أيضا؟

فقالت: أليس عجيبا أن يتلاشى اللون الأبيض من يده وأن يشوبها الاخضرار؟

فضحك لوك في مرح وقال:

- هذا يخيل للإنسان إذا نظر إليهما ولكننا لا نستطيع اتهامه بالقتل لمجرد أن يديه يشوبهما الاخضرار.

- طبعا لا أقصد ذلك.. إن ما ننشده هو الدليل القاطع الذي لا يشوبه الشك.



- فقال لوك في غضب وسخط:

- الدليل القاطع.. طبعا.. هذا هو ما نحتاج إليه ولكن القاتل حذر وذكي إنه مجنون وخطير.

وران عليهما السكوت لحظات ثم قالت بريدجيت:

- لقد فكرت أن استدراج السويرثي إلى الإقرار بأنه القاتل فإنني في هذا أكثر قدرة منك وقد بدأت أولى خطواتي في ذلك.

- حدثيني إذن بما حدث.

- إنه من وقت لآخر يعقد في هذه الحديقة اجتماعات سحرية يؤمها بعض أصدقائه القادمين من لندن وفي هذه الاجتماعات يمارسون مذبحة رقصات إباحية ماجنة.

- وانبرى لوك يقول: لقد سبق أن اشترك تومي بيرس في إحدى هذه الحفلات ولبس معطفا وطرطورا أحمر اللون وأظن أنك عرفت هذا الأمر.

- طبعا وهذا يفسر لنا سر مصرعه.

- تقصدين أنه ذكر للناس ما رأى؟

- ربما ومن المحتمل أنه أراد ابتزاز السويرثي نظير سكوته.

- فقال لوك: هذا محتمل.. نعم .. هذا جائز.

وعادت بريدجيت تواصل حوارها وتقول:

- لقد توصلنا الآن أن هناك علاقة بين السويرثي واثنين من ضحاياه هما آمي جيبس وتومي بيرس.

- ولكن لم نصل بعد إلى حقيقة علاقته مع كارتر



والدكتور هامبلباي.

- نعم لم نصل إلى شيء من هذا.

- فقال لوك: ما يدرينا لعل الدكتور هامبلباي اكتشف جنون السويرثي فقرر الأخير التخلص منه.

- ربما.. إنني حاولت أن أقنع السويرثي بحضور الحفل إلا أنه رفض.

- فصاح لوك: بريدجيت أرجوكي كوني على حذر.

- وقال مضيفا لكلامه: إن روز أخبرتني أن مس بنكرتون ساورها القلق بشأنك وأرجو منك الحذر والحيطة.

فاندهشت بريدجيت وقالت:

- مس بنكرتون كانت قلقة بشأني؟ هذا عجيب.

- هذا هو ما ذكرته روز هامبلباي.

- وماذا قالت أيضا؟ هل قالت شيئا آخر؟

- كلا.. هذا هو ما ذكرته فقط.

- أمتأكد أنت من هذا؟

- نعم متأكد.. وقد كانت مس بنكرتون غير مطمئنة على هامبلباي ومات فهل معنى هذا أنك.....

وأمسك لوك عن الكلام حتى انفجرت بريدجيت ضاحكة وتطاير شعرها إلى الوراء وبدت جميلة حسناء في نظر لوك وأردفت تقول:

- كن مطمئنا ولا تخف إن الشيطان الذي يعبده السويرثي وأصحابه هو نفسه الذي يرعاني.



الفصل الحادي عشر

وانطلق لوك إلى مكتب مستر جونز مدير البنك وهو يعتذر على تبديد وقته وقد رد مدير البنك عليه قائلا:

- كلا.. كلا أنا سعيد بالفعل لمقابلتك.

- إن أمر قريتكم غريب إنها حافلة بالأساطير.

- فقال مستر جونز: إن التعليم هو السبيل الوحيد للقضاء على هذه الخرافات، والمكتبة التي أسسها اللورد هوتفيلد هو الذي أقامها وسوف تؤتي ثمارها إنه رجل مكافح.

- فقال لوك: ربما كان الحظ هو الذي خدمه.

فنظر إليه جونز في دهشة وقال: إن الحظ هو الشماعة التي نلقي عليها فشلنا ونجاحنا فالقاتل مثلا إذا نفد بجلده فهل هذا حظ؟

- فقال لوك: لنأخذ رجلا مثل كارتر صاحب الحانة فقد خانه الحظ ليلة موته وسقط غريقا فلماذا مات في هذه الليلة دون غيرها؟

- فقال مستر جونز: إنه الحظ السيئ لكارتر والحظ الطيب لزوجته وابنته.

- فقال لوك: هذا صحيح.

ودخل أحد الموظفين حاملا معه دفتر شيكات طلبه لوك فنهض زاعما الانصراف وهو يقول:

- أرجو أن يكون الحظ قد حالفك هذا العام في سباق الخيول.



- فقال جونز: إنه يمقت الرهان هو وزوجته.

- فقال لوك: إذن أنت لم تشاهد سباق الخيل هذا العام؟

- نعم لم أشاهده ولا أحب ذلك أبدا.

- وهل أهل القرية يحبون مشاهدة السباق؟

- الميجور هورتون يعشق السباق والمراهنات بل أن مستر آبوت يغلق أبواب مكتبه يوم السباق ويمضي إلى لندن وغادر لوك البنك وقرر أن يستبعد مستر جونز من قائمة المشتبه فيهم حيث تلقى أسئلة لوك برحابة صدر ولم تظهر عليه أي علامة من علامات الدهشة ثم أنه لم يبرح القرية يوم السباق فلم يكن في العاصمة لندن لحظة مصرع مس بنكرتون أما مستر أبوت والميجور هورتون فقد غادرا القرية وزارا لندن يوم مصرعها وهو ما يدعو لاستمراهما في قائمة المشتبه بهم.

وعاد لوك يحدث نفسه: وماذا عن الدكتور توماس؟ ترى هل ذهب إلى لندن في نفس اليوم؟ والسوبرثي؟ هل غادرها إلى لندن في نفس هذا اليوم الذي لقيت فيه مس بنكرتون مصرعها لقد فكر طويلا في هذا رغم أنه يؤمن بالقضاء والقدر وأن موتها ربما كان نتيجة لذلك وهو احتمال غير بعيد، رغم أنه يرتاح إلى أنها قتلت عمدا وهي تعبر الشارع في طريقها إلى مقر إدارة شرطة اسكوتلاند يارد.

واستقل لوك سيارته واتجه إلى جراج بيبويل لمقابلة خطيب آمي جيبس الذي يعمل فيه.

وزعم لوك أن سيارته قد أصابها عطب ونادى صاحب المحل على الشاب جيم لفحص السيارة وجاء جيم وأجرى خطوات الفحص الدوري عليها واكتشف أن بها خللاً في الكهرباء وقد طلب من لوك أن يتركها في الجراج حتى صباح اليوم التالي ووافق لوك على ذلك وحين نهض للانصراف راح يسأل جيم.

- هل ربحت هذا العام في سباق الخيول؟

- كلا يا سيدي لقد راهنت على كلاريجولد وخابت توقعاتي.

- نعم فقد كان جوجوب هو الأول على عكس كل التنبؤات.

واستطرد لوك قائلا:

- ألم تشاهد سباق خيول في حياتك؟

- كلا بكل أسف.. وتمنيت أن أحضره هذا العام وكانت معي تذكرة مخصصة ولكن صاحب الجراج رفض أن يمنحني إجازة في ذلك اليوم.

وانصرف لوك واستبعد جيم هارفي من القائمة.

★ ★ ★

وبينما كان عائدا إلى القصر سائرا بمحازاة النهر وقعت عيناه على الميجور هورتون وبصحبته كلابه.. وكان ينهرها بشدة كعادته وفي تلك المرة أيضا راح الميجور يرمق لوك بنظرات قاسية وعنيفة ولكنه في هذه المرة وجه إليه الحديث قائلا:



- معذرة عن تطفلي يا سيدي أليس أنت مستر لوك ويليام هويتفيلد؟

- تماما يا عزيزي.

- وأنا الميجور هورتون.. أظن أننا سنلتقي غدا في مباراة التنس في قصر اللورد فقط تفضلت بريدجيت بدعوتي للمشاركة في اللعب أهي ابنة عمك حقا كما سمعت؟

- نعم.. هي بالفعل ابنة عمي.

وسار الرجلان معا.. وكلاب الميجور هورتون البولودج تتقدمهما.

وقال الميجور: أنا أعشق هذا النوع من الكلاب.. إنها شديدة الوفاء.. واستطرد قائلا: بالمناسبة إن منزلي قريب من هنا فهلا رافقتني لتناول الشاي.

ووجد لوك أنها فرصة رائعة للبحث عن المزيد من المعلومات ومعرفة شخصية هورتون عن قرب وربما يعرف هل كان هورتون في لندن ساعة سباق الخيل ولحظة موت مس بنكرتون أم لا وأمام هذه المطالب الملحة وافق لوك على الدعوة دون تردد أو تفكير، وراح الميجور يتحدث عن الجوائز التي فازت بها كلابه في مختلف المباريات حتى وصلا إلى البيت.

وتقدم الميجور ضيفه إلى قاعة استقبال انتظمت جدرانها برفوف عديدة وحملت على متنها العديد من الكتب وراح الميجور ينهمك في إعداد أقداح الشاي.



كانت هناك صور مرسومة فوق رف المدفأة وتأملها لوك طويلا وبادره الميجور قائلا: إنها صورة زوجتي.. لقد كانت امرأة رائعة انظر إليها تأملها يا عزيزي.. إن قسمات وجهها تؤكد مدى ثقتها في نفسها وملامحها تكشف عن قوة شخصيتها أليس كذلك يا مستر لوك؟

فقال لوك: تماما.. إنها تبدو بالفعل قوية يا عزيزي.

كانت المرأة مزمومة الشفتين، ذات نظرات حادة وتحمل ملامح كئيبة تؤكد عصبيتها الشديدة.

وعاد الميجور يتحدث عن زوجته في حسرة وألم قائلا:

- إنها كانت عظيمة ومن سوء الحظ أنها ماتت منذ عام ومنذ هذا التاريخ وأنا لم أعد هذا الرجل الذي كان من قبل.

فعلق لوك مجاملا: حقا..؟ أوه إنك تفتقدها يا عزيزي.

- نعم أفتقدها بشدة فالرجل دائما في حاجة ماسة لزوجة تشاطره الامه وأحزانه وأفراحه وأحلامه، وإلا صار يعيش على هامش الحياة لا قيمة له.

واضاف الميجور قائلا: أنا لا أزعم أن الزواج في البداية يكون سعيدا بل العكس يبدو بغيضا حيث يجد الرجل نفسه محاصرا بالأغلال والقيود ولكنه سرعان ما يشعران أن هذه الأغلال ما هي إلا ضوابط لفرض النظام بدلا من الفوضى.

كان لوك يعرف أن الميجور قد تجرع المرار على يد زوجته المتسلطة وأردف هورتون يتساءل: هل أنت متزوج يا

مستر لوك؟

- كلا.. لست متزوجا.

- سوف تتزوج في الوقت المناسب ولحظتها ستعرف يا عزيزي كم هو ممتع هذا الزواج.. لقد كانت ليديا واحدة في الألف التي يحترمهن الناس ويقدرونها.. كانت بحق امرأة فريدة كانت طرازاً بمفردها.. تمقت الثرثرة.. نظرة واحدة منها لأي شخص تكفي لبث الرعب فيه حتى الوصيفات كن في حالة رعب دائم منها فقد ألزمتهن بالالتزام بحدود الأدب ثم عاد يتساءل: هل تعرف أننا في سنة واحدة استبدلنا نحو خمس عشرة خادمة وطاهية؟ خمسة عشر تصور!

واضطر لوك إلى مجاملة الميجور وراح يمدح سلوك زوجته.

فعلق هورتون في طرب قائلا: إذا لم ترقها الطاهية أو الوصيفة ألقت بهما في عرض الطريق بغير تفكير.

- ولكن كان هذا مزعجاً بعض الشيء لها يا سيدي خاصة إذا خلا البيت من الخادمات والطاهيات.

- كلا.. لم نشعر أبدا بذا لأنني كنت أتولى مهام عملهن حيث أجيد الطهي ببراعة وتنظيف الأواني والصحون وكنس البيت إن في ذلك متعة لا حدود لها.

ووافقه لوك وهو يتميز غيظا قائلا: نعم ما أروع غسل الصحون وكنس البيت إنها فعلا هواية لذيذة.

وعلق الميجور مرة أخرى قائلا في طرب وسعادة: